جامعة قطر
QATAR UNIVERSITY

مجلة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
مجلة علمية محكمة

العدد الثلاثون
١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

عقيدة الديانة المسيحية

:: قراءة نقدية ::

تأليف

د. يوسف محمود محمد الصديقي

أستاذ الفلسفة الإسلامية المشارك

رئيس قسم الدراسات الإسلامية

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة قطر

ملخص البحث :

استدعت النظرة العقلية دراسة ظاهرة تطور الأديان من حيث تغيرها وتعدد فرقها ومذاهبها واتجاهاتها، ومحاولة الوقوف على أسبابها، وكيفية تعددها وانشقاقها إلى فرق ومذاهب واتجاهات في الدين الواحد، مما جعلني أتوجه لدراسة الدين المسيحي في هذه الجزئية. والمنطلق الدراسي من مبدأ عقدي واضح يتمثل في أن الدين الحقيقي لا يتولد في بدايته كنظرية غيبية مركبة ومعقدة عملا بالمقولة القائلة: (إن استيقاظ المشاعر يسبق في حياتنا دائما استيقاظ الفكر).

وهذا يؤدي بنا أن نبحث عما يحيد بها عن أصلها الصحيح، أهي الصراعات الإيمانية والنفسية وميولها أثناء الأحداث السياسية والفكرية وتحويلها تجاه صيغ معينة؟ وبالتالي تتولد العقائد في حالات معينة تمليها ظروفها؟ ومن تطور من اتجاه إلى اتجاه حتى تقع في اعتراضات عقلية، وللتخلص من هذه الاعتراضات رأت الكنيسة أن بالإمكان التخلص من هذه الإشكاليات بتفكيكها في أطر الروحانيات الغنوصية القائمة على العناصر الغيبية، مما جعلها تبحث في أتون الغنوصية، حتى أضافت على ديانتها تعقيداً على تعقيد.

ولفك هذا التعقيد العقدي يلزمنا أن نقف على فلسفة صياغة هذه العقائد، وتتبع تطورها وتبدلها من حال إلى حال، وهي في أحضان الكنيسة، وهي تتابعها في صيغها المتعددة. وما دور حركة التنوير والإصلاح في مواجهة الكنيسة وهي تدرس هذه الصيغ العقدية؟ وما سبب إخفاقاتها في هذه المواجهة؟

Christianity: A Critical Reading

Summary

The phenomenon of the evolution of religions in terms of change; multiplicity of its groups, doctrines and trends, attempting to stand on their causes, and its schism in the same religion, have urged the researcher through rational view to study Christianity from that perspective. I envision in this study to explore the evolution of doctrinal formulas from one format to another and from one methodology to another one, which is in constant change and alteration every now and then. Based on an academic approach that relies on a doctrinal principle, it is clear that a true religion is not initially generated as a complicated theoretical metaphysics in accordance with the following statement: "The awakening of feelings in our lives always precedes the awakening of our thought". This may lead us to seek what could deviate it from its rightful foundation. Could it be the fiducially and psychological conflicts that occur during political and intellectual events and is converted to specific formats? Could it be consequently generated beliefs in certain conditions dictated by certain circumstances?

Through this evolution from a trend to another, rational objections were made. To rid these objections, the Church envisioned that it could be tackled by characterizing them as Gnostic spirituality based on the elements of metaphysics. This have forced it to immerse in the midst of Gnosticism, and thus added more complexity to its beliefs.

To unravel this doctrinal complexity, we need to be aware of the philosophy of formulating such beliefs, track their development and change from an event to another within the church and follow it in its multiple formats .This leads us to a different question; "What was the role of the Renaissance in confronting the church during its exploration to its doctrinal formulas? And what is cause of failures in this confrontation ?And what is the cause of failures

المقدمة

بحكم توجهي لدراسة الأديان بصفة عامة – الأديان الرسالية والوضعية ، وملاحظة تطورها وتغيرها ، وتعدد فرقها ومذاهبها واتجاهاتها – استدعت النظرة العقلية دراسة هذه الظاهرة للوقوف على أسبابها ، وكيفية تعددها وانشقاقها إلى فرق ومذاهب واتجاهات في الدين الواحد ، مما جعلني أتوجه لدراسة الدين المسيحي في هذه الجزئية – خاصة– حيث بدأت بدراسة سلسلة متعاقبة لهذا الدين ؛ من مهنا (عقيدة الديانة المسيحية، قراءة نقدية) ودراسة ثانية تبين دور رجال الدين في تطور العقائد ، وهذه الدراسة التي تعد الأخيرة –إن شاء الله تعالى – في جوانب العقيدة المسيحية ، رأيت أن ادرس فيها كيفية تطور الصيغ العقدية من صيغة إلى صيغة ، ومن كيفية إلى كيفية ، وهي في تغييرها وتبديلها من حال إلى حال .

والمنطلق الدراسي من مبدأ عقدي واضح يتمثل في أن الدين الحقيقي لا يتولد في بدايته كنظرية غيبية مركبة ومعقدة عملا بالمقولة القائلة : (إن استيقاظ المشاعر يسبق في حياتنا دائما استيقاظ الفكر) وهذا يؤدي بنا أن نبحث عما يحيد بها عن أصلها الصحيح ، أهي الصراعات الإيمانية والنفسية وميولها أثناء الأحداث السياسية والفكرية وتحويلها تجاه صيغ معينة ؟ وبالتالي تتولد العقائد في حالات معينة تمليها ظروفها ؟ ومن تطور من اتجاه إلى اتجاه حتى تقع في اعتراضات عقلية ، وللتخلص من هذه الاعتراضات رأت الكنيسة أن بالإمكان التخلص من هذه الإشكاليات بتفكيكها في أطر الروحانيات الغنوصية القائمة على

العناصر الغيبية ، مما جعلها تبحث في أتون الغنوصية ، حتى أضافت على ديانتها تعقيداً على تعقيد .

ولفك هذا التعقيد العقدي يلزمنا أن نقف على فلسفة صياغة هذه العقائد ، وتتبع تطورها وتبدلها من حال إلى حال ، وهي في أحضان الكنيسة ، وهي تتابعها في صيغها المتعددة .

وما دور حركة التنوير والإصلاح في مواجهة الكنيسة وهي تدرس هذه الصيغ العقدية ؟ وما سبب إخفاقاتها في هذه المواجهة ؟

ورغبة في السيطرة على محاور هذا البحث آثرت أن أتناوله بالدراسة في مقدمة ، ومبحثين ، وخاتمة .

فالمقدمة : تتضمن إعطاء موجز لمحتوى البحث وجزئياته ، ومنهجي فيه .

والمبحث الأول : في العقيدة المسيحية

والمبحث الثاني : الوحي والإلهام الكهنوتي .

أما الخاتمة : فتشمل على تقييم موجز للديانة المسيحية .

منهج البحث :

وهذه الجزئيات التي سندرسها تفرض على البحث عدة مناهج ؛ المنهج الاستقرائي والتحليلي والتاريخي ، والمقارنة القائمة على النقد والتمحيص ، والمنهج التفكيكي.

ونسأل الله العون والسداد .

المبحث الأول

في العقيدة المسيحية

تحديدًا في «٦ أبريل ١٩٠٥م» من القرن الماضي نشر فيلسوف كاثوليكي مشهور آنذاك هو «إدوارد لوروا» في مجلة له كانت تحمل اسم «لاكانزين» Laquinzine مقالاً قائمًا على التساؤل القائل: ما العقيدة في الديانة المسيحية، والذي ألقاه على رجال اللاهوت الرومانيين التابعين لكنيسة روما الكاثوليكية، ولعل طرحه لهذا السؤال هو اعتقاده أن رجال اللاهوت جديرون أن يقنعوا من لديهم شك أو عدم اقتناع أو عدم وئام بين الاعتقاد المسيحي وبين ما لديهم من معارف وأفكار. ولكن الكاتب فوجئ بسيل من الأقلام التي تحمل السباب والشتائم والاعتراض على مجرد طرح مثل هذا السؤال، وهو: ما العقيدة؟ أو ما تعريف العقيدة؟ هنا نجد أن السيد «لوروا» أبى أن ينهزم، وقام بالرد على ما وجه إليه من نقد في قوة وبراعة.

وقد تولد عن هذه المناقشات أن ظهرت كتب أخرى تدور حول المفهوم العقدي نفسه الذي طرحه «لوروا»، وكانوا يسعون جميعًا إلى أن يظهروا للعيان أن العقائد الكاثوليكية إذا نظرنا إليها على شكلها الذي تريد أن تظهره به التعاليم الرسمية للكنيسة الرومانية، لم تعد مفهومة المعنى للذي يعيش في وقتنا الحاضر الغالب عليه صفة العلمية ، ولم تعد قادرة على التعبير عن مشاعره، اللهم إلا بألفاظ رنانة لا معنى لها. وبعبارة جامعة كما يقول «لوروا»: أصبح ثابتًا بما لا يدع مجالا للشك أن المشاعر الدينية عند من يريدون أن يفهموا دينهم، وأن

يعيشوه، لا أن يعانوا منه ويحيوا على هامشه، قد تعدت بمراحل طويلة للتعاليم الحرفية للديانة المسيحية، وأن تطورًا قد حدث بالفعل منذ الوقت الذي صيغت فيه هذه التعاليم، وأنه لم يعد هناك مفر من إيجاد توضيح جديد للعقيدة، لكن رجال الكهنوت أبوا أن يعترفوا بهذه الحقيقة، وليتهم اكتفوا بذلك، بل لقد قاوموا كل حركات التجديد والإصلاح [1].

فالمشكلة المتمثلة في أن أفرادًا من المجتمع الأوربي وغيره لم يستطيعوا أن يتفهموا العقائد الكاثوليكية الرومانية بالمعنى الذي تريد أن تظهر به التعاليم الرسمية ظلت قائمة حتى إن سلطات الكنيسة قد تمادت في تأكيد عصمة العقيدة، وهكذا تظهر اليوم أمام أعيننا مرحلة لها دلالتها من مراحل الصراع الدائم بين الصيغة الجامدة للعقيدة الكاثوليكية والإيمان المتحرك. وهذا ما عبر عنه صراحة السيد «لوروا» عندما سأل رجال الدين: (إن ما تعلمونه لنا على أنه عقيدة لا يصادف مكانًا في نفوسنا التي لم تعد مستعدة – بحكم ما حصلته من علم وفلسفة حديثة – لإدراك مفاهيم الزمن الغابر والقرون الوسطى، ونحن نعلم تمامًا أن القديس أغسطين Augustin والقديس توماس الإكويني Thamas d'Aquin كانا في عصريهما فيلسوفين يتمتع كل منهما بعلم واسع وعميق، لكن مناهج استدلالهما على حقائق الدين المسيحية الأساسية لم تعد توقظ في نفوسنا إلا الفضول والاستغراب المشوبين بالاحترام، هذان الفيلسوفان لم يعودا يؤثرا فينا أو يقنعانا، وإن كل ما نشعر به نحوهما ليس إلا إعجابًا أدبيًا مرده صفتهما التي أصبحت أثرية، إننا نفكر ونحس ونرى على خلاف ما كان يفكران ويحسان

(1) شارل جنيبيرت: تطور العقائد، ص٣٣- ٣٤.

ويريان، بل إننا نعرف الآن أشياء لم يكونا يعرفانها، إن اسم أي منهما لا يتردد على شفاهكم، معشر رجال الكهنوت إلا ممثلا لسلطة دينية لا تقهر، ومع ذلك فقد تعلمنا أن روح أحدهما العلمية والفلسفية لا تتلاءم تمامًا مع روح الآخر، فلماذا إذن تعتبرون أن حبسنا في أفكارهما أمر سهل ميسور؟

يجب أن تكون العقيدة شيئًا آخر، شيئًا يختلف عن الصيغة التي وضعها مجمع مقدس في القرن الرابع، أو كتب سطرها راهب في القرن الثالث عشر؛ العقيدة شيء لم يحدد بعد، ونطلب منكم تحديده، وإن لم تفعلوا فاعترفوا أن تحديد حقيقة الاعتقاد ظل حتى الآن غير كامل، وغير دقيق، تقدموا خطوة إلى الأمام نحو كمالها الخالص، وارتفعوا بعض الشيء نحو حقيقتها التي لا يمكن إدراكها، ثم عبروا عما تكونوا قد أدركتموه بلغة نفهمها، لغة نستطيع بها أن نجابه، دون خوف أو وجل، وفي حدود معطيات علمنا وفلسفتنا[1].

وبمتابعة مفهوم العقيدة إذا بدأنا بدراستها في المدارس الفلسفية القديمة نجدها أكثر تعقيدًا، ففي هذه المدارس كانت كلمة «عقيدة» تطلق على الصيغ؛ التي كانت تكاد تكون معصومة، والتي كانت تتضمن المعارف الأساسية لكل نظام فلسفي فـ «كليمانس» Clemeas الإسكندري، العالم المسيحي الذي عاش في بداية القرن الثالث، وفي وسط مشبع بالفلسفة اليونانية، يُعرِّف تلك «العقائد» الفلسفية التي هي عبارة عن المقدمات والنتائج لكل نظام من نظم الهيللينية الكبرى، فكثيرًا ما كان يقال فيما حول بداية العصر المسيحي «عقائد فيثاغورس» Pythagorc أو «عقائد أفلاطون» Platon عندما يراد الحديث عن مذهب أحدهما

(1) شارل: تطور العقائد، ص٣٥- ٣٦.

الخاص، لم تعد كلمة عقيدة تعني الأحكام العملية فقط، فهذه الأحكام العملية قد أصبحت لا تمثل إلا مكانًا ثانويًا لدى مفكري اليونان، لا يشذ عن ذلك فيثاغورس نفسه، فعندما كانت تذكر كلمة العقائد في هذه المدارس الفلسفية الوثنية كان يراد منها مؤكدات ميتافيزيقية لا تعني فقط عند من يعتنقونها الإيمان، بمعنى الثقة، بل تعني أيضًا على الأخص: الإيمان بمعنى الاعتقاد.

إن الفلاسفة آنذاك كانوا يريدون أن يكون الإيمان الذي يبشرون به بين تلاميذهم، ويريدون منهم أن يعتنقوه هو الإيمان المتعقل والمبرهن عليه عقليًا، وقد كتب كليمانس الإسكندري المسيحي المعجب بالمقدمات الفلسفية، كتب في تحديد معنى العقيدة: «إنها نوع من التحصيل العقلي». إنها مفهوم تدركه النفس بواسطة العقل، أو على الأصح بواسطة الاستدلال العقلي، والواقع أننا من وجهة نظر تفكيرنا الحالي لا نقبل مقدمات وضعها مفكر مثل فيثاغورس أو أفلاطون؛ لأنهما في كثير من الأحيان يعتمدان على بعض الأحكام المسبقة، غير أن عند بناء كل منهما لمذهبه كانت تحدوه رغبة صادقة في بنائه اعتمادًا على العقل وحده الذي التزموه منهجاً في بحوثهم وتقصيهم عن الحقيقة ، وكذلك ليس لنا أن نندهش عندما نرى أن المجهود الذي بذلاه لشرح وبيان حقيقة الكون والحياة، وما يتعلق بهما من تثبيت قواعد النشاط العقلي والقواعد الأخلاقية، وهي كلها مسيرة بمعطيات ومناهج علم ليس له اليوم وجود، وأن وجهه العلمي قد اختفى، وهنا ليس لنا أن نندهش إذا كان هذا المجهود لا يجيب عن متطلبات تفكيرنا، الذي قد يكون في وسط آخر، ويعمل في مكونات أخرى، لها معطياتها وظروفها. وهذا شأن الإنسان في معظم القضايا ، ومابالك في المسائل الإيمانية ، التي ينطلق

الإنسان فيها من عمل العقل ، ومرد هذا الخلاف راجع إلى أن الاطار الذي وضع على عقله مخالف لاطار عقل الآخرين .

غير أن النظرة الفلسفية للعقائد الفلسفية لم تدم على حالها وتعريفها وصفاتها الأولية بل غيرت من صفاتها العملية بعض الشيء؛ ذلك أن عصر «كليمانس الإسكندري» كان يأخذ كلام الفيلسوف على أنه تبرير لما تؤكده المقدمات الدينية، ويعفي الأتباع والمريدين من تبعات التفكير الشخصي. وبالتالي يصبح الإنسان مسلوباً في شخصيته وبالتالي يكون الاصطلاح قد وصل إلى مرحلة جديدة في مفهومه .

ومع ذلك نجد أن علماء الدين المسيحي يلومون خصومهم من مشايعي الفلسفة على ثقتهم بالمبادئ الفلسفية، حيث ينظرون إلى هذه الثقة على أنها نوع من الاعتقاد الباطل.[1]

وهنا نجد أن المسيحيين عندما وقفوا عند مفهوم العقيدة في ظل السائد ثقافيًا آنذاك قد قاموا بتضمين مفهوم العقيدة معنيين أو مفهومين هما: الأمر الصادر من السلطة صاحبة الشأن، وقاعدة الإيمان الذي لا يناقش؛ والمعصوم

[1] - هذه النظرة تنطبق على كل من سار على نهج الفيلسوف (كانت) الذي كان له مؤلفات من ضمنها كتاب (الدين في حدود العقل الخالص) خصصه لبيان العلاقة بين العقل والدين منتهياً إلى أن الدين ومبادئه لا تصمد أمام المنطق الحر ، وصدر كتابه هذا في عهد (فردريك وليم) ملك بروسيا ، الذي كان معروفاً بتزمته وحجره على الحريات ، فصادر الكتاب لما رأى فيه من المساس بعقائد الدين المسيحي . وكذلك كتب الفيلسوف (جون لوك) كتاباً سماه (رسالة في التسامح) بين فيه ما وقع بين المسيحين من خلاف وتقاتل وتناحر في الدين المسيح وعقائده . من أراد المزيد حول هذه القضايا فليراجع جون لوك ، رسالة في التسامح ، ترجمة د/ عبدالرحمن بدوي ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٨م ،بيروت .
- ود/ رفقي زاهر ؛ اعلام الفلسفة الحديثة ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٩م ، دار المطبوعات الدولية ، مصر .

بأقوال المعلم، وهذا المفهوم واضح عندما قام القديس «بولس» يعظ ويبشر في أوساط الوثنيين حول المعابد اليهودية المنتشرة في العالم اليوناني، حيث حاول القديس بطرس من جهة، والحواريون من جهة أخرى أن يقنعوا اليهود بالثقة التي كانوا يحسون بها تجاه رسالة المسيح، منذ ذلك الحين تأسست قاعدة أن أوامر المعلم لا تناقش بأي حال من الأحوال، وذلك أن في شخص المعلم «المسيح» تكمن السلطة كلها ؛سلطة الإله الأب، وكلما كبر شخص المسيح عليه السلام في وجدان المسيحي كلما اقترب من الإله؛ حتى جاء اليوم الذي اختلط فيه شخصه بذات الإله فاكتست «عقائده» رداء السلطة، وأصبحت شيئًا فشيئًا غير قابلة للمناقشة ... ومن ثم من أتى بعد المسيح عليه السلام أو بعد صاحب أي رسالة يعتقد أن له أهلية تامة لتمثيل صاحب الرسالة. أو قل لتجسيد سلطته، ذلك أنهم يرددون ما كان يقوله ويوسعون دائرة نشر تعاليمه ومبادئ دينه بين الناس حتى يسود ويصبح دينًا للجميع.

وفي حقيقة دين المسيح عيسى عليه السلام أو إيمانه يُجْمِعُ علماء الأديان[1] على أن عيسى عليه السلام كان يحمل بين جوانحه قوة فريدة، وأنه كان يعيش الدين الذي ينبض به قلبه، وهو دين آبائه، فإلهه هو إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وشريعته هي شريعة موسى، وأنه لم يأت ليبطلها، بل جاء ليكملها، كما قال هو نفسه إلى

(1) انظر: شارل جنيبيرت: تطور العقائد، ص٤٦.

أن تصل إلى غايتها[1]، مع الاعتراف والأخذ بأنه ولد يهوديًا، وظل يهوديًا، وأنه كان يقول في بدء دعوته: «لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة»[2].

إذن طرحت الديانة المسيحية في بداية أمرها على أنها امتداد للديانة اليهودية، ثم تطوَّرت بعد حين، وقدمت نفسها للبشرية على أنها حركة إصلاح وتصحيح للديانة اليهودية، وبشارة إلهية لجميع الأمم، وعليه فقد بقى اليهود خلال القرنين السابقين على مجيء المسيح عليه السلام ينتظرون المخلص «المسيَّا» أو «الماشيح» الذي سيحقق لهم وعد الرب لأبنائه بامتلاك الأرض؛ وهو الوعد الذي بذله الرب من دون مبرر لإبرام «إبراهيم» قائلاً له: «ولنسلك أُعطي هذه الأرض، من نيل مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات»[3]. ومضت السنون والقرون من دون أن يتحقق وعد الرَّب حتى يومنا هذا.

ومع بداية القرن الثاني قبل الميلاد «سطعت بقوةٍ فكرةٌ يهودية تقول: إن وعد الرب لن يتحقق إلا من خلال بطل يهودي، أو نبي كريم يأتي ملتحفًا برداء «المهدي المنتظر» أو حسبما سموه أنفسهم الماشيح؛ وهي كلمة تعني حرفيًا الممسوح بالزيت المبارك؛ وهو الذي سيصير ملكًا لليهود، ومخلصًا لهم مما هم فيه، ومحققًا وَعْدَ الرب، الذي طال انتظاره.

(1) إنجيل متى: الإصحاح: ٥- عدد: ١٧- ١٨.
(2) يوسابيوس القيصري: تاريخ الكنيسة، ترجمة: مرقس داود، ص٦٦، مكتبة المحبة، الطبعة الثالثة، مصر، د.ت.
(3) سفر التكوين، عدد: ١٥.

ولم يتصور المسيح عليه السلام في حياته أن تكون هناك حقيقة إلهية غير تلك التى أوحاها يهوه من قبل إلى أنبيائه الذين يعترفون بما تركوه للشعب من مأثورات.

ومن المعاناة التي كان يعانيها المسيح عليه السلام أن مواطنيه آنذاك من اليهود لم يكونوا يستجيبون لرجائه في حياته، فغالبًا ما كان كبرياؤهم يصم آذانهم عن الاستماع لحديثه.

أما الكتبة «الربانيون» فقد انكبوا على دراسة الشريعة، وهي دراسة شاقة ودقيقة، تؤهل صاحبها للادعاء والكبرياء، والتعالي الثقافي؛ وهؤلاء بدورهم العلمي هذا لم ينظروا إلى المسيح عيسى ابن مريم نظرة جادة وهو ابن نجار، غير مثقف، بل ربما كان شديد الجهل بما لديهم من كنوز العلم؟ والحقيقة هي أنه لم تكن هناك صلة بين دينهم ودينه، فما كان منهم إلا أن أصروا على هلاكه، أما تلاميذه فقد تماسكوا بعد فترة من الرعب والقنوط، واعتقدوا أنهم رأوه بعد حادثة الصلب على شواطئ بحيرة طبرية، لقد شجعهم الإيمان بقيامته، ووجدوا في أنفسهم الجرأة ليحملوا تعاليمه التي وضع بيلاطس حدًّا لها، ومع ذلك فقد غيروا جوهرها وهم معتقدون أنهم يغوصون في أعماقها طبقًا لرغباته؛ ذلك أن عيسى عليه السلام كان يدعو قبل كل شيء إلى الإيمان بالله الأب، واسع الملكوت، أما هم – تلاميذه – فقد أخذوا يبشرون واضعين في المقام الأول الإيمان بعيسى الذي قام من بين الأموات، عيسى الحي، عيسى الذي تمثل عودته القريبة فجر الزمن الموعود[1].

(1) يوسابيوس القيصري: تاريخ الكنيسة، ص٤٨.

وفي الوقت نفسه لو تتبعنا موقف اليهود من صلب عيسى عليه السلام وقيامه من بين الأموات لوجدنا (أن اليهود لم يعتقدوا عمومًا في الرسالة التي جاء بها عيسى نفسه، فإنهم لم يكونوا على استعداد لتقبل فكرة أن رجلاً بسيطًا، مثل المسيح مات على الصليب أمام الشعب، بين سارقين، كان على الحقيقة «ابن العلي» الذي له «الكل» والذي بشرت به الأنبياء ... إن الحجج التي جاء بها الحواريون لإثبات حدوث قيامته من الأموات، وظهوره لجماعتهم الصغيرة، واكتشاف قبره خاليًا فيما بعد، صبيحة يوم الأحد، كل هذه الحجج لم تكن تثير في هذا الزمن الغابر ما تثيره اليوم من اعتراضات، بيد أن هناك اعتراضًا واحدًا كان كافيًا لتحطيم هذه الحجج في شعور الخصوم من اليهود المثقفين؛ هذا الاعتراض يتمثل في أن تلك الحجج قد جاء بها أميون، وأن أحدًا غير هؤلاء الجهلة لم يكن ليتأتى له أن يتثبت من صدق الادعاءات التي قدموها، فالقيامة لم يرها تلاميذه، وسرعان ما اصطدمت نبوءة الحواريين بمقاومة عنيفة من رجال الدين، ولم تجد قبولاً إلا لدى قلة قليلة منهم، ولكن هذه العقيدة، عقيدة القيامة من الأموات، لكي تبقى على قيد الحياة كان عليها أن تبحث لها عن بيئة أخرى بعيدة عن مشارف الأوساط اليهودية، وسط الوثنيين، الذين كانوا يميلون إلى اعتناق اليهودية، مدفوعين بميل طبيعي، أو بعوامل الصداقة وعلاقات التجارة، أما الذي تولى غرس هذه العقيدة في هذه الأوساط فهو القديس «بولس» الذي كان واحدًا من الفريسيين القلائل الذين اعتنقوا هذا الإيمان الجديد، فتولى عرض هذه العقيدة التي رفضها اليهود على هؤلاء الوثنيين في صراحة، بعد أن حللهم من قيود الشريعة الإسرائيلية الصعبة"[1].

(1) يوسابيوس القيصري: تاريخ الكنيسة، ص٤٩.

إذن العقيدة اليهودية تطورت أو قل العقيدة الدينية التي أتى بها عيسى ابن مريم قد تطورت بعد وفاته وصلبه وقيامه، وأن ذلك التطور قد تم على يد بولس الرسول، وبها ابتعدت الهوة والشقة بين الديانة اليهودية المشربة بالمسيحية التى اعتنقها الوثنيون بعدًا كبيرًا عن اليهودية الخالصة؛ والتي كان على الديانة المسيحية ابتداءً من القرن الأول أن تنظم نفسها كدين خاص، يستقي مقوماته الأساسية من عدائه لأصله العبري. غير أن هذا الإيمان المسيحي قد تجاوز الطبقات الدنيا من المتدينين إلى أن وصل إلى أن استقر في التقائه بالمدارس الفلسفية القائمة على المبادئ الميتافيزيقية في شرحها للكون وتكوين أو توضيح فكرة الحياة النهائية ومعناها، والغاية من الحياة، وتوضيح فكرة الله.

إذن عقيدة الحواريين في مجموعة قواعدها البسيطة للحياة العملية التقت مع ميتافيزيقا الفلاسفة حتى عند «بولس» الرسول نفسه، على أنها شيء موحى به، وابتعدت عن مظهر الجدل والنظر العقلي، غير أن الفلسفة اليونانية قد طغت على النظرة المسيحية، حيث حولت الإيمان الخاص لتلاميذ المسيح الأوائل إلى إيمان اعتقادي مذهبي.

وبتتبع قصة موت المسيح نجد أن المؤرخين يروون أن بولس الرسول قد رفع المسيح فوق مستوى الإنسانية «لقد تخيَّله بولس الرسول على أنه إنسان إلهي، تقمصه روح القدس بشكل يمكن معه القول بأنه أصبح هو نفسه روح القدس[١]، حتى إن الإنجيل الرابع «إنجيل يوحنا» يصوره كما لو كان تجسيدًا

(١) كورن، إصحاح: ٣، عدد: ١٧.

للابن، للكلمة الحية، لإرادة الله الخلاقة، ولم يمضِ وقت طويل حتى اعتبرت تعاليم المسيح وحيًا مماثلاً للوحي الذي اختص يهوه به موسى والأنبياء من بعده، غير أنه يمتاز عنه بأنه أكثر كمالا، وأنه جاء ليحل محله، من أجل خلاص البشر، ونمو العقيدة المسيحية على هذا النحو يجعل من الطبيعي أن تكون كل إضافة، وكل تعقيد يزيد في مجملها أمرًا غير مقبول إلا بشرط أن تكون مأثورات التلاميذ الأُول قد أمرت به أو افترضت وجوده، وكلمة «مأثورات» تعني الذكريات المرفوعة، بدرجة قليلة أو كثيرة من الصحة إلى المسيح، عن طريق الحواريين، ومنها مادة الأناجيل[1].

تثبيت قاعدة الإيمان المسيحي في قلوب المتدينين:

تثبيت الصيغة العقائدية في الديانة المسيحية في تطورها استدعى بحكم طبيعة الأشياء قيام ما يسمى بالسلطة التي بدونها لا تثبت قاعدة الإيمان، إلا بها وهنا واضح أن عقائد السيد المسيح كانت تأخذ قيمتها من علاقته بالله، ومما يوحى إليه من خلال هذه العلاقة، وكذلك فإن عقائد حوارييه كانت تأخذ قيمتها من رسالتهم المحدودة؛ تلك الرسائل التي ينظر إليها من قبل الكاثوليك على أنها تساوي الكتاب المقدس ، وفي المقابل ترى البروتستانت أهمية لهذه الرسائل ، وآخرون يرون أن المأثورات تابعة للكتاب المقدس وأن دورها دور التفسير والشرح للكتاب المقدس . وهذه السلطة في حقيقة الأمر كانت موجودة في حياة المسيح والحواريين، وهي ما يمكن تسميته بـ «الحكومة النظامية» أو «المؤسسة ذات الأنظمة واللوائح الإدارية»، ولا بد منها لكل جماعة تسعى إلى أن تنظم حياتها

(1) شارل جنيبيرت: تطور العقائد، ص٥٠.

بشكل منهجي سليم، إذن فالسلطة كانت موجودة تباشر عملها في كل جماعة مسيحية على المسكونة، بواسطة مجمع المؤمنين نفسه، عن طريق تكليف بعض أعضائه – كما كان يفعل اليهود في معابدهم – برعاية شئون الجماعة المادية والإدارية؛ وبعد موت الحواريين الأوائل، ظهرت جماعة أخرى كانوا يسمون بالمتنبئين المتجولين، ما بين حواريين ورسل، وكان لهم بروز وظهور على الساحة المسيحية، وكانوا مؤثرين في الاتجاه المسيحي، فاعتبروا من قبل البعض كما لو كانوا يتصرفون ويتكلمون بوحي من روح القدس، غير أنه بقيت للمجمع الحرية في منح الثقة أو حجبها عما كانوا يأتونه من أقوال وأفعال، فالمجمع وحده هو المسئول عن شئون الإيمان، وهو وحده الذي يقبل أو يرفض ما يأتي به هؤلاء؛ كل إضافة أو اقتراح يأتي به أحدهم كانت تقدم للمجمع على أنها نعمة وفضل رباني روحي صادر عن روح القدس، وبهذه الصفة لا يملك أحد من الوجهة النظرية حق ردها إلا روح القدس، أما عمليًا فإن المجمع وحده يقبل أو يرفض أيًّا من الإضافات أو البدع.

ها هي ذي الوظائف الإدارية وحق السهر على رعاية الاعتقاد القويم، أو الإيمان القويم، وحق امتياز التمتع بامتلاك قوة الطقوس تجتمع بقوة في يد رجال الكهنوت، وهي تعد في حقيقة أمرها سلطة رجال الكهنوت، وهذه السلطة لم تأتِ هكذا هبة بلا سبب، أو عطاءً وكرمًا ومنحةً، بل أتت بعد صراع ومقاومة، تحمل لنا النصوص القديمة بعض فصولها[١]، وللحقيقة فإن وجودها كان ضروريًا؛ إذ بدونها كانت الكنيسة ستفترق إلى أحزاب وشيع، لا تقوى مع كثرتها على الحياة

[١] - للوقوف على رعاية الكنيسة للاعتقاد القديم راجع د/ حسن القرواشي : الفكر المسيحي الكاثوليكي في مواجهة الحداثة ، ص١٧٩، مطبوعات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، ٢٠٠٥م ، تونس.

والاستمرار. وفي نهاية الأمر فيما يتعلق بالتنظيم الكهنوتي قد استقر الرأي ووقع الاتفاق على الاعتراف بضرورة إيجاده، خاصة أنه كان مرادًا للمسيح، وفي الوقت ذاته يرجع تاريخيًا إلى الحواريين، ومن ثم فإن الأساقفة قد وجدوا في سلطة الحواريين ضمانًا وتقديسًا لها؛ لأنهم في حقيقة الأمر هم – الأساقفة – خلفاء للحواريين، وعملهم ووظيفتهم الإبقاء على المأثورات وحفظها كاملة غير منقوصة.

كان الأساقفة في بداية الأمر منعزلين، والكنائس كذلك كانت منعزلة عن بعضها البعض، والأساقفة آنذاك كانوا يعتبرون مسئولين كل على حدة أمام المسيح عن السلطة العقائدية التي كانوا يمارسونها مع أتباعهم في كنائسهم، وفي مرحلة ثانية في القرن الثاني الميلادي كانوا يتكاتبون في أمور دينهم، وكذلك كانوا يتزاورون، ومن ثم بدأوا يجتمعون في مجموعات تتفاوت أعدادها حسب الظروف، وكانوا يطلقون عليها الاجتماعات الكهنوتية أو الاجتماعات المسكونية؛ لتدارس المسائل والقضايا التي تثار من قبل الزنادقة أو غيرهم، وخاصة المسائل التي تثير الخلاف والتناحر أو الخروج على مبادئ وطقوس الديانة والإيمان بها.

مفهوم العقيدة في الكنيسة الكاثوليكية:

بتلك الخطوات المتتالية لقضايا الإيمان القويم في الديانة المسيحية، وكيفية الحفاظ عليه، وبتكوين المجامع، والاتصال بين الأساقفة، وبتتبع حياة الحواريين، ومسلك السيد المسيح نستطيع أن نقف على تصور مفهوم كلمة العقيدة لدى الكنيسة الكاثوليكية المسيحية؛ بصفة عامة إن العقيدة في مفهومها العام حقيقة معصومة، وحكم لا يمكن نقضه، وهي من حيث جوهرها موحى بها، أوحاها الله مباشرة؛ كما تكلم يهوه إلى موسى، أو أوحى بها عن طريق المسيح

خلال تعاليمه الأرضية، التي ترويها لنا الأناجيل، أو التي أوحيت إلينا بطريق غير مباشر بواسطة الإلهام لمن لديهم الأهلية والاستعداد لتلقيه، الذين هم رؤساء الكهنوت المحركين بروح الحواريين.

"إذن فلا يمكن الاعتراف بالعقيدة إلا بعد أن تكون قد حددت وصيغت في عبارة خاصة، وأعلنت على الملأ بواسطة السلطة المختصة – أي بواسطة المجامع المقدسة في الزمن الغابر، وبواسطة البابا حاليًا فيما يتعلق بالكنيسة الكاثوليكية – بإلهام من روح القدس؛ وبعد أن تقول السلطة كلمتها فإن العقيدة التي يفترض أنها لا تنطق بغير الحقيقة تصبح بالنسبة لأتباع الكنيسة موضوع إيمان ثابت ومعصوم؛ لأن الله لا يخطئ، ولا يوقع أحدًا في الخطأ، ثم تصبح هذه العقيدة إذا أمكن قاعدة تحكم بعض الآداب والعادات"[١] تلك هي العقيدة من الناحية النظرية، التي هي: وحي، وسلطة، وعصمة، وبها مجتمعة تعبر عن العقيدة في مفهومها العام.

وبنظرة تحليلية نقدية عقلية في مفهوم العقيدة المسيحية نرى أن بعض علماء الأديان[٢] يرون أن النظرة العقلية لم يعد لها دور في العقيدة المسيحية إلا دور القبول والتبرير؛ خاصة إذا نظر إلى العقيدة المسيحية من وجهة نظر

---

(١) شارل : تطور العقائد، ص٥٦.
- ود / حسن القرواشي : مدخل إلى دراسة تاريخ المسيحية ، ص ٢٠ ، المركز القومي ، البيدا غوجي ،طبعة ١٩٩٨م ،تونس .
- ماكس فيبر : الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية ، ترجمة محمد علي قفلد ، مركز الإنماء القومي ، د.ت .لبنان .
- وكولن ولسون : سقوط الحضارة ، ترجمة ، انيس زكي حسن ، منشورات دار الآداب ، ١٩٨١م ، بيروت .

(٢) من هؤلاء العلماء والمختصين في دراسة الأديان الأستاذ/ شارل جنيبيرت.

الآخرين؛ الذين ينظرون إليها على أنها لا تزيد على أن تكون قرارًا أو مرسومًا قنصليًا، أو بابويًا.

أما المؤمن المسيحي أو غيره من المؤمنين فيرى الأمر على خلاف ذلك، فعنده أن سلطة البابا التي يخيل للبعض أنها هي التي أوجدت العقيدة لما يبدو من اتخاذها خطرًا آدميًا، هي سلطة لا يمكن مهاجمتها؛ لأنها لا تتصرف من تلقاء نفسها، ولا بطريقة تعسفية، وهو يرى أن قرارات البابا ليس فيها شيء شخصي، فسلطته ليست إلا واسطة ضرورية، لكنها حيادية بين المؤمنين وربهم، فالبابا رجل اختير بواسطة أمثاله من البشر، وهو أثناء حياته العادية عرضة للزلل والخطأ اللذين يتعرض لهما كل عقل بشري، لكنه يشعر بارتفاعه فوق الضعف البشري الجبلي لما يتجه إلى روح القدس طالبًا منه العون والإرشاد، ومن هنا كان جوهر العقيدة بالنسبة للمسيحي التابع لكنيسة روما هو الوحي الذي يضمن صحتها، ونفس الشيء يقال بالنسبة لأتباع الأديان السماوية"[1].

إذن فالصفة الخاصة بالعقيدة المسيحية وغيرها من العقائد السماوية؛ هي كونها موحى بها، غير أن مفهوم «العقيدة» يتسع اليوم ليشمل مؤكدات متعددة ومختلفة نوعًا ما، ورغم ذلك فإن هناك عقائد ثابتة بطريقة إيمانية لا استدلالية موضوعية، مثل تأكيد وجود الله، وتأكيد عنايته، وتأكيد وجود الروح والحياة الأخرى.

(1) المصدر السابق، ص٥٧.

وهذه القضايا العقدية تمتاز ببساطتها، وأنها لا يمكن الاستدلال على صحتها بدقة، لكنها متصورة، ويمكن للعقل البشري أن يتأكد من صحتها بطرائق عدة قائمة على مفاهيم السببية والغائية والعدالة، في حدود الامكانات العقلية .

وكذلك تمتاز هذه القضايا العقدية بأنها موجودة في أساسيات معظم الأديان السماوية والأديان الوضعية القديمة؛ إذ إن كل دين يبرر وجود هذه العقائد بطريقته الخاصة، ولا يجد صعوبة في هذا التربير.

غير أن إلى جانب هذه القضايا العقدية الأولية توجد قضايا عقدية أكثر تعقيدًا، حيث لا يسيطر عليها العقل وطرق استدلاله، وهو ما أكد عليه الأسقف «مينيون» Mignot بقوله في العقيدة التي "هي في حد ذاتها أعجوبة غير قابلة للتصديق، إنها شيء مرعب، إنها تقتضي إذلال العقل وخضوعه لما لا يمكن فهمه، إنها يترتب عليها من الآثار الروحية والأخلاقية ما قد لا يكون في الاستطاعة اختراعه"[1] ومن أمثلة ذلك بذل العقل المسيحي وغيره من العقول التي لا تسلم بالتبرير؛ القول بأن الإنسان يولد حاملاً لبذور هلاكه المرتبط بخطيئة ارتكبها أبو البشر آدم عندما كان في جنة عدن، إنها عقيدة الخطيئة الأصلية، والتي في ظلها حملت البشرية خطيئة آدم إلى يومنا هذا، وكذلك القول بأن عيسى قد ولدته عذراء، بعد أن حدثت معجزة حملها به عن طريق روح القدس، هذا القول ليس خروجًا عن دائرة التجربة فقط، بل خروجًا عن دائرة العقل، أريد أن أقول: إن عقيدة حبل العذراء، إذا نظرنا إليها في حد ذاتها لا تعطينا أي مادة للاستدلال العقلي، وهو الاستدلال الذي يستهدف تقرير صحة

(1) critiqucttradition, dons Le correspondont du lo janvier,1904.

هذه العقيدة، وصحة النصوص التي قامت عليها، والقول بأن عيسى الذي لا يمكن اعتباره من الناحيتين الروحية والدينية فوق مستوى البشر سموًا وسناءً، القول بأن هذا الرجل هو إنسان كامل، أي ليس له مظهر إنسان فقط – وهو في نفس الوقت تجسيد للإله اللا محدود، والذي لا يمكن تصور كنهه، أي أن جسده المرئي المحدود بالضرورة قد احتوى اللامتناهي الإلهي، هذا القول لا يمكن تصوره، إنها عقيدة التجسُّد المعتمدة على عقيدة أخرى؛ هي القول بطبيعتين كاملتين في المسيح، ومن الميسور أن ندرك أن كل محاولات الاستدلال على صحة هذه العقيدة ليست سوى مجرد دعاوى تعتمد على أكثر أنواع الشقشقة اللفظية تفاهة، وخلوًا من المعنى. والقول بأن الله هو في نفس الوقت واحد ومثلث، وأن الإنسان يتمثله على أنه ثلاثة أشخاص متميزة: الأب، والابن، والروح، ثم يتمثله في نفس الوقت على أنه واحد وحدة كاملة[1]، ووقف المحتجون أمام هذه العقائد المسيحية على أن العقل لا يستطيع أن يسيطر عليها، ورأوا أن ليس من السهل تطويع العقل البشري لقبوله، دون أن يكرهه على الخروج عن طبيعته، وأن يفرض عليه معرفة ما يستحيل معرفته.

ويخلص هؤلاء بنظرة إجمالية في هذه العقائد على أنها تمثل معارف لا يمكن أن تكون على شاكلة المعارف الموضوعية، وذلك لرفعتها وسموها، والتي لا تظل لها علاقة بالحياة العقلية التي تحياها.

وفي أيامنا هذه بيَّنَ الأب "متى المسكين" عقيدة الأرثوذكسية، وهو يحاول أن يجيب على التساؤل العقدي الذي أثاره الفيلسوف الكاثوليكي «أدوارد لوروا»

(1) يوسف زيدان: اللاهوت العربي ص٥٩.

في سنة ١٩٠٥م: ما العقيدة؟ الأب متى المسكين أجاب عن هذا التساؤل بعقيدة الأرثوذكسية، وهو في إجابته تلك قد خالف فهم العقيدة المسيحية في اللاهوت العربي الذي سنبيِّنه لاحقًا، وقال ما نصه في عقيدة المسيح: «يعتبر لقب ابن الإنسان أحب الألقاب، وأهمها بالنسبة للمسيح في التعبير عن ذاته كمسَيَّا «مخلِّص» وهذا اللقب يحمل مفتاح معرفة المسيح ورسالته" وفي رأينا الخاص أن المسيح قصد بهذا اللقب أن يلمِّح إلى بشريته، أنها خلو من آدم، فأصل اللقب الموازي هو ابن آدم، ولكن المسيح غيره عن قصد إلى ابن الإنسان، إشارة سرية لمولده من الإنسان، وهي العذراء، دون رجل، فهو ابن الله، ولكن ليس ابن آدم[١].

ولكن هذه النظرة أو الإجابة العقدية في المسيح لم يرضَ بها الفيلسوف الكاثوليكي «لوروا»؛ لأنها لم تعد مفهومة المعنى للذي يعيش في وقتنا الحاضر، ولم تعد قادرة على التعبير عن مشاعره، وكذلك كتب الأنبا بيشوي الأرثوذوكسي وهو معبر عن العقيدة القبطية المرقسية شارحًا لمفهوم عقيدة الثالوث من وجهة نظره، فيقول ما نصه: "الأب هو الله من حيث الجوهر، وهو الأصل من حيث الأقنوم، والابن هو الله من حيث الجوهر، وهو المولود من حيث الأقنوم، والروح القدس هو الله من حيث الجوهر، وهو المنبثق من حيث الأقنوم"[٢].

وقد رفضت الكنيسة القبطية باستمرار أي مساومات أو حلول وسطية في مسألة الطبيعة الواحدة للمسيح، بما في ذلك الحل «الملكاني» الذي ظل في الإطار العام للأرثوذكسية، وتوسط بين المذهبين؛ مذهب البنوة الرافض لألوهية

(١) انظر: يوسف زيدان: اللاهوت العربي، ص٩٨.
(٢) المصدر السابق، ص٩٩.

المسيح، ومذهب البنوة القائل بوحدة الطبيعة، ولخص لنا المؤرخ «يوسابيوس» الحل «الملكاني» هذا بقوله: "كلما كانت في المسيح طبيعة مزدوجة: الأولى تمثله على أساس أنه إله، فكأنها الرأس للجسد، والأخرى يمكن تشبيهها بالقدمين، باعتبار أنه من أجل خلاصنا أخذ المسيح طبيعة بشرية، وصار تحت الآلام مثلنا"(١).

ومن ثم عبروا عن عقيدة الإيمان المسيحي بأنه لا يعترف بالتعدد، وعندما يقال: "لنا رب واحد يسوع المسيح، فهي عبارة قاطعة تثبت أن يسوع هو الإله الحقيقي الذي هو مع أبيه، والروح القدس جوهر واحد، ولاهوت واحد نسجد له ونمجده".

وعليه فقد اعتبر الأرثوذكس الأقباط المسيح هو المعادل التام لله سبحانه وتعالى، والإله الآب، وأن اللاهوت واحد؛ لأن المسيح والرب هو هو.

وعليه فإن اصطلاح اللاهوت المسيحي لا يتعلق في مجمله بذات الله تعالى، بل جوهر الاصطلاح اللاهوتي المسيحي يدور حول المسيح الذي صار إلهًا، حين صارت الكلمة جسدًا، بحسب الفهم الأرثوذكسي لطبيعة يسوع.

وفي محاولات الكهنة أو اللاهوت الديني المسيحي التي أرادت أن تتنقل بالفكر الديني من الاشتغال بحقيقة وطبيعة المسيح إلى الاشتغال بالذات الإلهية وما يتعلق بها من صفات قائمة بالذات أو زائدة على الذات، وما يتعلق بها من موضوعات وعلاقات قائمة بين الخالق والمخلوق ظهرت أو قل تسببت بشكل

(١) يوسابيوس: تاريخ الكنسية، ص١١.

أساسي في صياغة الاتجاه الأرثوذكسي وإلى صياغة «قانون الإيمان» في صيغ متعددة، بسبب كثرة الاجتهادات الهرطوقية التي ظهرت في المنطقة العربية، وتحديدًا في الشام والعراق، وهي منبع الثقافة العربية قبل ظهور الإسلام، وحتى قبل المسيحية بقرون مديدة، والتي كانت تحمل ثقافة عقدية مخالفة للثقافة العقدية المسيحية في منطقة الغرب «غرب فلسطين» التي هي مصر واليونان، والقائمة على التعدد، أما العقيدة المسيحية في منطقة الهلال الخصيب «العراق والشام» وبجواره الجزيرة العربية، فإنها كانت قائمة على التوحيد.

مفهوم العقيدة في الحضارات الإنسانية القديمة :-

وإذا تتبعنا تصور الحضارات الإنسانية القديمة للإله فإننا نجد صورة مُثلى للإله فى علاه القائم على التوحيد والتنزيه؛ ها هي آسيا منبت الجنس البشري ومنبع العقيدة القائمة على التوحيد التي لقنها آدم عليه السلام لأبنائه الذين منهم شيث ونوح وسام وإدريس عليه السلام وقد قبست مصر من ذلك التوحيد على يد نبيها إدريس عليه السلام، والذي يسمى «حوروس القديم» ويسمى «خاتون» بالعبرية، وفي العربية «أخنوخ» وفي المصرية «حورس» أو «هورس» وفي اليونانية «هرماكيس» وأما الله سبحانه وتعالى فقد سمى نبيه «إدريس» وقد أمر إدريس عليه السلام في وقته – كرسول الله – المصريين بعبادة الله والزهد والحب والعدل والإحسان، وحرَّم الخمر وأكل الخنزير .. وكذلك «آمون» في الديانة المصرية القديمة، والتي تعني المختفي المفيض بالخير على الكون كله؛ ومع ذلك أتت الديانة اليهودية بكهنوتها بصورة للإله قائمة على إشكالية عقدية غير منزهة لخالقها، وأطلقت عليه عدة مسميات: الرب، ورب الجنود، ويهود، وياهو، وإيل، وإلوهيم، وتحدثوا عن طبيعة

الإله وصفاته، حيث يظهر مرة داعيًا إلى الخير والفضل، وتارة أخرى يظهر في صورة رجل يغلب عليه الغضب والانتقام من العباد تفضلا على اليهود وأبنائه.

وهنا يبرز دور كهنتهم الذين يسمون بالربانيين وعلماء الشريعة والدين حديثًا في محاولات قاتلة لحل هذه الإشكاليات الإلهية عندهم، وكذلك اجتهد علماء الديانة المسيحية الذين يسمون بعلماء التفسير التأويلي المسيحي، وكل ذلك أدى إلى وجود سيل من التفسيرات والتأويلات والرؤى ما بين اعتبارها رموزًا لا تاريخًا، أو أنها عبارة عن حالات ذاتية للنفس الإنسانية في مراحلها الزمنية عبر بوابة التاريخ الزمني.

أما أن يقال إلى الحد الذي نجعل فيه الإنسان إلهًا، وخاصة أن هذا الإنسان قد تعذب وهو مصلوب حتى قتل، ثم خرج من قبره من بين الأموات بعد ثلاثة أيام، فإن هذا الأمر لم يكن منطقيًا بالنسبة للعقلية العربية، مهما كانت قوة إيمانها، أو تمسكها بالمسيحية، وبالتالي فإن العقلية العربية المسيحية آنذاك لم تستطع أن تتقبل أن المسيح ابن الله، ومن هنا أرى أن القرآن الكريم عندما امتدح المسيحيين فإنه تحديدًا يقصد هذه العقلية العربية المسيحية التي تقول: "إن المسيح ما هو إلا بشر ورسول من الله تعالى"[1].

والديانة المسيحية في هذا الجانب من الهلال الخصيب «الشام والعراق» وبجوارهما الجزيرة العربية واليمن هي التي ينظر إليها قرآنيًا على أنها الديانة المسيحية في أصلها، قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ

(1) ابن تيمية: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢٧٥/١.

وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾[1]

إذن تلك المودة راجعة في أصلها إلى أن المسيحية في أصولها الأولى دين ووحي سماوي، جاء به المسيح من عند الله تعالى، كما يقول الحق: ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [٢].

وعليه فإن هذه الآية القرآنية التي تبيِّن أن النصارى أقرب مودة للمؤمنين مقيدة، ولها سبب نزول خاص ، حيث نزلت في نصارى نجران الذين قص القرآن بعد هذه الآية حالهم عند سماعهم ما أنزل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم . وبالرغم من ذلك نرى أن ما يتعلق بالذات الإلهية وصفاتها الذاتية أو الزائدة على الذات التي برزت في التوراة، وفي تأويلات الكهنة فيها إشكاليات ورموز لم تحل بعد، ولم يستطع العقل البسيط في مراحله الأولى أن يتقبل بأي شكل من الأشكال ما يوصف به الله أو صفاته تعالى؛ لأن العقل لا يستطيع أن يصف بها الإنسان البسيط، فما بالك لو كان الخالق.

وعليه نرى أن التأويلات والشروح والتفسيرات والتبريرات الكثيرة، والحلول المقترحة التي قدمت عبر التاريخ الطويل والمديد للديانة اليهودية، وفي المسيحية عبر رجالها ولاهوتها وكهنوتها من بعد بهدف إبقاء القداسة ضافية وراسية على ضفاف كتبها المقدسة لم تستطع أن تغيّر في مجموعها من صيغة ومفهومية هذه النصوص المقدسة، الغالب عليها التشبيه والتجسيم والتجسيد في لغاتها المتعددة،

(١) سورة المائدة ، الآية : ٨٢ .
(٢) سورة النساء، الآية: ١٧١.

ومن ثم «نشأت مشكلة كبرى ظهر أثرها لاحقًا، هي ارتباط «الصفات» بالذات الإلهية، وهي المشكلة التي حاول «مرقيون الهرطوقي» في منتصف القرن الثاني الميلادي أن يحلّها برفضه للعهد القديم، مؤكدًا أن الرب التوراتي ليس له أي علاقة بالمسيح؛ لأن دراسة العهد القديم تثبت أن هذا الإله اليهودي قد أدخل نفسه في أفعال متناقضة، فكان متغيرًا على الدوام، جاهلاً وقاسيًا»[١].

وفي مجمل صورة الإله في الديانة المسيحية نقول: إن الإله ملتصق بالأرض، وبعيد عن السماء والعلو والرفعة، حيث نزل إلى الخيمة الأرضية ويكون قريبًا من الموجودات الأرضية[٢].

غير أن القرآن الكريم يخبرنا أن الديانة اليهودية في أصلها قائمة على التوحيد، وتتصف فيها الذات العلية بصفات الوحدة والكمال والمخالفة للحوادث في كل شيء، والتجرد من مظاهر النقص، والقرآن الكريم بآياته القرآنية يبين لنا لماذا لم يستطع اليهود أن يؤمنوا بالتوحيد وأن يفهموا الذات العلية بشكل صحيح. وأرجعه إلى عدة أمور: منها، أن عقولهم لم تقوَ في مبدأ الأمر على فهم الذات العلية الفهم الصحيح، وظنوا أن من الممكن رؤيتها، بل علقوا إيمانهم بموسى ورسالته على رؤيتهم لله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾[٣]، وغير ذلك من الأسباب المعروفة[٤].

(١) أنطوان فهمي: العلامة ترتليان، ص١٦١، مطبعة الأنبا رويس، ١٩٩٤م، القاهرة.
(٢) انظر في هذا الصدد: سفر التكوين، وسفر الخروج.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٥٥.
(٤) انظر: د/ على عبد الواحد وافي: اليهودية واليهود، ص٣٤، دار النهضة، مصر، د.ت.

وعليه فإن لفظ «الله» لا يقال في اللغة العربية إلا للمعبود الأعلى،–سبحانه وتعالى– ولا يجوز بأي حال إطلاقه بالاشتراك بين الخالق والمخلوق.

وهذا الإدراك اللغوي الاصطلاحي الخاص بتحديد المفاهيم له الأثر الخفي في وعي العرب وأهل الثقافة العربية في منطقة الهلال الخصيب «الشام والعراق» وبجوارهما الجزيرة العربية «الحجاز واليمن» بالديانة المسيحية واليهودية؛ إذ جعلهم يدركون الذات الإلهية القائمة على التوحيد، وأن تلد العذراء بمعجزة إلهية، دون أن يتقبلوا أن يكون المولود هو ابن الله، اللهم إلا على سبيل المجاز، كما يقال مجازًا عن اليهود إنهم أبناء الله، ويقال عن النصارى مجازًا إنهم أبناء المسيح بالمسيحيين الذين يعيشون آنذاك في منطقة الهلال الخصيب «الشام والعراق» وبجوارهما الجزيرة العربية واليمن.

وفي المقابل بعد الفترة الأولى للديانة المسيحية عندما انشقت كفرقة يهودية عن الديانة اليهودية، ورحلت إلى مصر واليونان، وازدهرت من خلال المذهب الأرثوذوكسي القائل بالإيمان القويم عبر تاريخه الكنسي في الإسكندرية ومصر واليونان تغيرت الديانة المسيحية من التوحيد إلى القول بالتثليث، وبالتالي بدأت المسيحية الأرثوذكسية تنظر إلى القائل بالتوحيد في التراث المسيحي على أنه هرطقة، أو مجموعة هرطقات متوالية التوالد، وأنه يصعب تحديد زمن ظهورها الأول، وهكذا اعتبر الأمر، وهو قلب الحقائق والأوضاع رأسًا على عقب «إذ يكاد الإيمان الأرثوذكسي والهرطقة كلاهما يتزامنان دومًا، ويتطور كل منهما، وينمو بتطور الآخر ونموه، وهو ما حدث بفعل العمليات الجدلية «الديالكتيك» والمساجلات الجدالية التي طالما احتدمت بين الكنائس"[1].

(1) يوسف زيدان: اللاهوت الديني، ص١٠٣.

المبحث الثاني

الوحي والإلهام الكهنوتي

يقصد بالوحي لدى الأرثوذكس: الحقيقة التي يلقي بها الله إلى الإنسان، والتي لا يمكن للعقل وهو معتمد على قواه أن يصل إليها، وكذلك فإن قضايا الدين الكاثوليكي، والتي تتمثل في الأسرار، تصور للناس بالضرورة على أنها وحي؛ فالتثليث على سبيل المثال، باعتباره حقيقة واقعية في الديانة المسيحية، وباعتباره أنه لا يذهب بوحدة الإله، لا يمكن للبحث القائم على التجربة والاستنباط أن يميط اللثام عنه؛ لأن كل التجارب الملموسة، وكل النتائج التي يستخلصها العقل منها، تعارض تمام المعارضة اتفاق هذين المفهومين المتناقضين – التثليث والوحدة في ذات الوقت – ومع ذلك فإن العقيدة المسيحية تقول بالتوفيق بينهما، وكذلك الشأن في عقائد التجسد الإلهي، وحَبَل العذراء، والغفران، والخطيئة الأصلية، فهذه القضايا الأساسية في الديانة الصحيحة المسيحية، وقف أمامها النقاد ومن نظر إليها بحكم العقل المجرد دون أن يصلوا فيها إلى يقين أو استقرار الرأي حولها.[1] وإذا عادوا بها إلى أصلها في منطقة

[1] - هذه العقيدة المسيحية تفرض وجود كائن متعال أسراري كشف عن نفسه ، وأوحى بمطلق الحقيقة التي بدونها يظل الوجود الإنساني بلا معنى ، ولا يمكن للعقل البشري رغم ذلك الكشف الذاتي ،أن يسيطر عليه ،ويدركه تمام الإدراك ، لأن المعرفة البشرية غير قادرة على اكتناهه ، لأنه لا يمكنه أن يتحول إلى كائن عادي يدرك حقيقته باستعمال أساليب البحث العادية ، فهو بطبعه فوق الحقيقة البشرية النسبية ، ولا يمكن للكلام ، أو المفاهيم الفكرية الإنسانية أن تستوعب ، أو تحيط به ، وسواء انطلق المرء من الإقرار بوجود الوحي ، أو نفيه ، أو ارتبط الوحي بنص ، أو بشخص ، فأن الأشكال يبقى هو . هل يخضع العقل الإنساني المؤمن ، أو غير المؤمن لتعاليم فوقية ليس بإمكانه أو من حقه أن يناقشها ، وأن يتمثلها وفق مداركه ، وإمكانياته الذهنية) انظر د/ حسن القر واشي : الفكر المسيحي الكاثوليكي ، ص٢٩٤ وما بعدها .

الهلال الخصيب[١] «الشام والعراق» حيث الذين كانوا يقولون بالتوحيد لا التثليث، وصفوا ذلك القول بالهرطقة.

إذن فالمقصود بالوحي إظهار العناية الإلهية لحقيقة مجهولة حتى ساعة الإيحاء بها. أما الإلهام فهو: «الغوث الإلهي الذي يدفع الكاتب المقدس إلى الكتابة مبينًا له ما يجب عليه قوله؛ حافظًا له من الوقوع في أي خطأ، غير أنه ليست لهذه النظرية في ذاتها ولا بالنسبة لأصول العقائد تلك الأهمية التي تبدو لها عند النظرة الأولى، فقيمة القضية العقائدية لا تتغير سواء جاءت على لسان البابا، الذي تحوطه عناية روح القدس؛ مثل عقيدة الحَبَل البريء من الإثم، أو اشتمل عليها كتاب موحى به إلهاميًا؛ كعقيدة الخلاص حسبما جاءت في رسائل القديس بولس، أو أوحي بها بطريقة مباشرة؛ كما هي الحال بالنسبة للوصايا العشر»[٢].

ينظر إلى الإلهام كوسيلة للاتصال بين الله والإنسان؛ وهو أكثر صيغ الوحي ذيوعًا، والظروف التي تحدث فيها أكثر مدعاة للقبول من وحي يتحقق عبر وسيط علوي.

وعليه لو حاولنا أن نستخلص صورًا، أو صورة الإلهام العقدي في الديانة المسيحية لوجدنا أن الإلهام الذي ألهم القديس بولس الرسول أن يفسر موت عيسى تفسيرًا جعلها أصلاً لعقيدة الغداء، وهو نوع من ظاهرة الإلهام العقدي؛

- كذلك تجد الإمام الغزالي في كتابه (الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل) قد تناول اشكالية العقيدة المسيحية ، وكيف أنهم جعلوا حقيقة الإله مأخوذة من حقيقة نفسه ؟ ثم أثبتوا لها اتحاداً بالإنسان الكلي ، مع أن الإنسان الكلي لا وجود له في الخارج ، فتكون حينئذ متحدة بما لا وجود له في الذهن ؟ تحقيق د/ محمد الشرقاوي ، دار الجيل ، مكتبة الزهراء ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٠ه/ ١٩٩٠م ، مصر .

(١) انظر: ابن تيمية: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٥٧/١.

(٢) شارل جنيبيرت: تطور العقائد، ص٧١.

وهذه الإلهامات قد نسبت في عدة تفاسير ورؤى تجاه الحدث الواحد في الديانة المسيحية.

ويرى بعض المؤرخين[1] أن الإلهام في الأديان بصفة عامة وراء نشأة الفرق في تلك الأديان، قد يكون هذا الكلام مقبولاً في بعض الأديان، ولكن لا يؤخذ على إطلاقه؛ بل هناك عوامل أخرى منها الاختلاف في الأفهام تجاه النصوص، والأغراض والأهداف النفسية في بعض الحالات وهكذا، وفي ظل هذا التفسير للإلهام في الأديان بصفة عامة، وفي الديانة المسيحية بصفة خاصة، فإن هذا الإلهام في جانب منه يقودنا إلى أن نلقي نظرة على كيفية كتابة أو تدوين كتب الديانة المسيحية «فعندما يقال عن كتاب إنه إلهامي، فإن المرء لا يتصور أن مؤلفه قد وقع أثناء كتابته له فريسة لهذيان مقدس، بل لا يفهم من هذه العبارة إلا أنه قد تلقى الضمان قبل أن يمسك بالقلم بأن الروح الإلهية قد تقمصته، ثم يفترض أن المعونة الصادقة لهذه الروح تسانده في كل محاولاته، وتسدد خطاه لمصلحة الإيمان وخيره، هكذا تبدو على سبيل المثال كتب العهد الجديد فيما عدا «رؤيا يوحنا» التي تبدو وكأنها رؤيا مباشرة، أي أنها ترتدي أكثر أشكال الوحي مادية، كذلك فإن أية رسالة من رسائل بولس يقال عنها إنها إلهامية؛ لأن مؤلفها تلقى وهو في طريقه إلى دمشق، ثم في كثير من الرؤى الضمان بأنه لا يفكر ولا يتكلم إلا بإرادة ربه. ونفس الأمر يقال عن رسائل القديس بطرس إنها إلهامية؛ لأن الحواري نزل عليه روح القدس، وأنه فوق ذلك، فيما يقال، كان الشخص الذي خصه المعلم الإلهي بمزية أن يتولى التعليم، ويمكن اعتبار الأناجيل موحى بها من حيث المضمون، لافتراض أنها تحتوي على تعاليم المسيح، تعاليم الإله الذي ظهر على هيئة رجل، كما يمكن اعتبارها

(1) شارل جنيبيرت: تطور العقائد، ص٧٥.

إلهامية من حيث الشكل؛ لأنها اعتبرت كما لو كانت قد كتبت بواسطة الحواريين لإنجيل متى ، وإنجيل القديس يوحنا» أو لأنها تشتمل على تعاليم الحواريين «إنجيل القديس مرقص، وإنجيل القديس لوقا»[١].

الكتب المقدسة

تنظر الأديان إلى الوحي على أنه هو الكتاب المقدس؛ غير أن بعض المؤرخين لعلم الأديان ولتاريخه يقفون موقف الشك من أن تكون هذه الكتب في مجملها موحى بها، ويرون أن من الممكن أن تكون أساسيات هذه الكتب المقدسة موحى بها، ودونها هي من وضع البشر وتدخلاتهم؛ حتى لا يمكن القول إن المأثورات التي ليس لها أهمية حقيقية إلا المساعدة في فهم الكتاب، واستخلاص كل النتائج الضرورية منه حتى خارج الوحي، وإن دخل في الإلهام فإنه في نهاية الأمر لا يعد وحيًا؛ لكي يعتد به في القدسية؛ وهذا ما بينه «لوازي» Loisy بقوة عندما تناول بالدراسة والنقد والتحليل «الكتاب المقدس» العهد القديم منه فيما يتعلق بكتاب موسى، يقول «لوازي»: «الله هو مؤلف الكتاب المقدس، كما أنه هو مهندس كنيسة القديس بطرس بروما، ونوتردام بباريس، لكن تصور أن الله قد كتب كتابًا هو بلا جدال أكثر أنواع التجسيم إيغالاً في التصور الطفولي، ومع ذلك فيجب أن نتفق على أن الناس لم يقعوا في تصور أكثر سذاجة من هذا؛ إننا نقرأ في سفر الخروج، إصحاح: ٣١، عدد: ١٨: «وأعطى موسى، بعد أن أنهى كلامه معه على جبل سينا، لوحي الشهادة، لوحان من الحجر كُتبا بإصبع الله»[٢]

(١) المصدر السابق، ص٧٦.
(٢) Simples ncflexioms,paris.1908 p42.

فيه قمة التجسيد والتشبيه والتجسيم، وكذلك تحدث العهد القديم، ولاسيما «لوح القوانين» وكذلك العهد الجديد عن قطع مكتوبة، كتبها الله نفسه أو نزلت بواسطة أحد الملائكة[١].

أما بالنسبة للقرآن الكريم فإنه ينسب إلى جبريل تبليغه إلى النبي ﷺ، ومن حقيقته أنه موجود منذ القدم، كتبه الله في «اللوح المحفوظ» في السماء، وفكرة أزلية القرآن لها سموها؛ لأنها تتضمن اعتقاد أن الشريعة الإلهية «شيء أساسي أولي، دائم ومقدس، إنها التعبير عن نظام يوجد سببه خارج الإنسانية، وفوق مستواها»[٢].

أما الإنجيل فإنه يقدم نفسه كرسالة عيانية، أي موحى به، قائم على أساس العهد القديم، أنه يأتي بالمعرفة الكاملة، ويشتمل على الوحي اللازم للخلاص برمته، أي أنه على الجملة ينقل إلى الإنسان الحقيقة الكامنة في ذات الإله منذ الأزل؛ وهذه الأناجيل الأربعة هي: إنجيل متى، وإنجيل مرقص، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا؛ وبجوار هذه الأناجيل توجد كتب مسيحية أخرى؛ هي أعمال الرسل، والرسائل، ورؤيا يوحنا اللاهوتي.

ومادة الأناجيل الأربعة عبارة عن تاريخ حياة المسيح، ومجموعها مع بقية الرسائل يسمى العهد الجديد.

وبتفصيل الحديث عن هذه الأناجيل[٣]، نقول:

انظر في هذا الصدد: د/ فلهام رودلف: صلة القرآن باليهودية والمسيحية، ص٦٣، دار الطليعة، بيروت، ترجمة/ عصام الدين حنفي، الطبعة الأولى، سنة ١٩٧٤م.

(١) د/ فلهام رودلف: صلة القرآن باليهودية والمسيحية، ص٦٣.

(٢) carra deveux: La morde de Llislam ap mordles et neligions, paris.1909 p:191.

(٣) الأستاذ/ محمود أبو الفيض: الدين المقارن، ص١٢٦.

- و الإمام محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ، ص٤٣ وما بعدها .

١- إنجيل مرقص: كتب بعد ٧٠ سنة من وفاة المسيح، وجمعت أصوله عن طريق الرواة الذين اتصلوا بالمسيح، أو عن الذين اتصلوا بمن عاصروه، ومادته قليلة، يبدأ بقصة يوحنا المعمدان، ثم يتكلم عن تجوال المسيح، وتاريخ الأيام الآخرة.

٢- إنجيل متى: كتب في أواخر القرن الأول، وفيه مادة تزيد على إنجيل مرقص، ويحتوي أقوال المسيح منسقة، وفيه شجرة نسب المسيح، وبعض ما في العهد القديم.

٣- إنجيل لوقا: كتب في القرن الثاني، أكثر من نصف مادته، يحتوي على جديد لا يوجد مثله في الأناجيل الأخرى.

٤- إنجيل يوحنا: ينظر إليه على أنه يحتوي البذور الفلسفية للديانة المسيحية، وكتب جزء منه في أوائل القرن الثاني.

■ **أعمال الرسل:** تحتوي على مجهود الرسل، وخصوصًا في التبشير.

■ **الرسائل:** فهي عبارة عن منشورات وعظات أدلى بها حواريو المسيح لمختلف الأمم، داعين إياهم إلى الديانة المسيحية، وتعد هذه الرسائل أساسًا عامًا للاهوت المسيحي.

■ **رؤيا يوحنا المعمدان:** وهي عبارة عن عظات وتنبؤات.

كل هذا يقودنا إلى أن نقف على الإيمان الذي تدين به الكنيسة الرومانية منذ أمد ليس بقريب، وحتى يومنا هذا: «هو أن الجزء الأكثر أهمية من الكتاب المقدس هو الذي يشتمل على الأوامر الرئيسية للشريعة، والذي يتحدث عن

- د/ عرفان عبدالحميد : النصرانية ، ص٧٣ وما بعدها ، دار التجديد للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٦ه /٢٠٠٥م ، ماليزيا .

الأشياء الأولية، من قصة الخلق، وسقوط آدم، إلى الطوفان، وآمال إسرائيل، أما التوراة أو الأسفار الخمسة فإنها تعتبر العمل الشخصي لموسى، وموسى الشاهد عندما يسرد أحداث عصره، والسكرتير الأمين لله عندما يشرح، ويشرع، ويأمر، غير أنه منذ القرن السابع عشر، وعلى يد «ريشارد سيمون» Rishard Simon ورغم «بُسوية» Bosuet قامت دراسة، واستمرت أثناء القرن التاسع عشر حول التوراة، مستلهمة الفلسفة والتاريخ والدين، وأدت إلى نتائج حاسمة، حيث برهنت هذه الدراسات بطريقة مؤكدة على أن الكتاب المنسوب إلى موسى، وهو الكتاب الذي أوحاه أو ألهمه يهوه مباشرة، ليس إلا تلفيقًا أرعن لعدة نصوص، تدل لغتها، كما يدل مضمونها على تأثرها بحضارات وديانات متباينة[1]؛ أي أنها كتبت في أزمنة مختلفة، وأكثر الوثائق دلالة على ما قلناه، هي ما تضمنته الدراسات التي استهدفت المواضيع الأربعة الآتية: ما يتعلق بالألوهية، وما يتعلق ب (يهوه)، وما يتعلق بسفر التثنية، وما يتعلق بالقانون الكهنوتي، فهي أثبتت أنه لا يمكن إسناد تأليف التوراة إلى موسى، بل تدل على أنها ألفت في زمن متأخر كثيرًا عن الزمن الذي يظن أن موسى كان يعيش فيه، على أن بعض الدراسات المتعمقة، وإن لم تحظ بكثير من الاعتبار ترجع زمن تأليفها إلى ما بعد رجوع اليهود من الأسر البابلي؛ أي بعد عام ٥٣٨ق.م، بل إنه يمكن الذهاب إلى أبعد من ذلك، وتأكيد أنه من المستحيل إرجاع أي من الأجزاء الأربعة التي ذكرناها سابقًا إلى موسى، أو إلى الزمن الذي وجد فيه. وهذا ما استقر عليه النقد الحر»[2].

---

[1] - كتأثرها بالديانات الهندية واليونانية والمصرية القديمة ، وهذا واضح في الجوانب العقدية بشكل كبير ، راجع في هذا الصدد د/ أبو زهرة : مقارنة الأديان الديانات القديمة ، دار الفكر العربي ،١٩٦٥م ، مصر .

(٢) د/ علي عبد الواحد وافي: اليهودية واليهود، ص١٧.
شارل جنيبيرت: تطور العقائد، ص٩٥- ٩٦.

وهذه الدراسة قامت على المقارنة بين قصص سفر التكوين والأساطير البابلية من جهة، وبين ما يقال إنه شريعة موسى وقانون حمورابي من جهة أخرى، وخلصت هذه الدراسة القائمة على المقارنة إلى أن «النفحة الإلهية تبدو «أقل ظهورًا في التوراة» منها في أي جزء آخر من أجزاء الكتاب المقدس. وأخيرًا فإن أسلوب التوراة الفريد في بابه، والسمات الغامضة، والأخطاء المادية التي غصت بها، لا تدع مجالاً للشك في أنها عمل تلفيقي إنساني، لدرجة أنها إذا كانت تشتمل هنا أو هناك على بعض ما أوحى به يهوه حقيقة، فإن هذا البعض تتعذر رؤيته أو تصعب، نتيجة لما أضافته إليه الأجيال المتعاقبة»[١].

ولم يقف النقد والتحليل والمقارنة عند التوراة، بل امتد هذا التحليل والنقد والتقييم إلى أن طال الأسفار المسندة إلى الأنبياء، فقد ذهب البعض تجاهها إلى أنها قد كتبت بعد الرجوع من الأسر البابلي، ونُظر إلى هذا الرأي على أنه متطرف، ولم يحظ بإجماع المتخصصين في الدراسات العبرية، ورغم هذا الاعتراض علينا أن نعترف بأن هذه الأسفار المسندة إلى الأنبياء تحمل آثار التحوير في تدوينها، يجب أن نعترف على سبيل المثال بوجود سفرين لأشعيا، وأن نبوة «حبقوق» هي منحولة من أولها إلى آخرها، والدليل قد قام على ذلك حقيقة، أن قراءة الكتاب المقدس بأكمله تترك انطباعًا بوجود نوع من الوحدة بين أجزائه، غير أنه يجب الحذر من أن يكون هذا الانطباع ناشئًا عن وحدة أجزائه وتجانسه، بل هو في الواقع ناشئ عن اهتمام مؤلفيه المتعددين، فهؤلاء لا يدور اهتمامهم إلا حول إبراز قوة يهوه ومجده وانتقامه وطيبته، وربما جاءت هذه الوحدة من الروح اليهودية التي تسير على نمط ووتيرة واحدة، تلك الروح التي تغطي

(١) المصدر السابق، ص٩٧.

تغطية كافية على ما بينهم من اختلاف باعتبارهم بشرًا، ومع ذلك فرغم التعديلات التي أدخلها الكهنة في القرن قبل المسيح على الكتاب المقدس، فإنه لا يعطينا الانطباع بصلابة هذا الدين، كوحي إلهي إننا لا نجد فيه شكلاً ثابتًا للإيمان، أو الأخلاق يمكن اعتباره نوعًا من القانون يجعله هو وشريعة الله شيئًا واحدًا؛ لقد استعصى الكتاب المقدس على الكهنة الذين وجدوا أنفسهم أثناء الأسر البابلي القادة الحقيقيين لشعب إسرائيل، فاعتقدوا بعد عودتهم من بابل أنهم قد أقاموا عليه أتوقراطيتهم بصفة نهائية، عندما قدموه للناس على أنه الدليل المفحم على الأمر الواقع، ذلك أن الكتاب المقدس يكشف في جلاء عن التطور الديني لليهود، بل إنه الرفض ذاته لثبات الدين وعدم حركته.

ولم يكتف بعض مؤرخي الأديان [1] بالنقد والتقييم لكتب الديانة اليهودية، بل وقفوا وقفات مطولة أمام العهد الجديد، من حيث نسبته إلى عيسى عليه السلام، وفي تقييمهم هذا انطلقوا من مقولة إن نسبة تعاليم العهد الجديد إلى عيسى ليست أقل صعوبة من نسبة التوراة إلى موسى، وفي تناولهم لعيسى عليه السلام في حقيقته سلموا بأن عيسى عليه السلام كان يعتقد إيمانًا أنه يحمل رسالة إلهية، وأنه لم يكن يتصرف أو يتكلم إلا وهو مقتنع بأنه يتعين عليه تنبيه قومه بقرب مجيء المملكة الإلهية التي وعد بها الأنبياء، وأن عليه أن يبشر بالتوبة انتظارًا لليوم الأكبر، إنه لم يدع على الإطلاق إلى إقامة دين، بل قصارى ما كان يرمي إليه هو تقديم القواعد الأساسية، بل المثل الأعلى للحياة الدينية الصحيحة التي يجب أن يحياها الناس في إطار الديانة الموسوية، لقد ولد المسيح يهوديًا، ونشأ بين اليهود، لذلك كان

[1] - أنظر في هذا الصدد الإمام أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ، ص٧٨ ، وما بعدها ، دار الفكر العربي ، الطبعة الثالثة ، ١٣٨١ه / ١٩٦١م ، مصر .
- ود/ حسن القرواشي : الفكر المسيحي الكاثوليكي ، ص٢١٢ وما بعدها .

يرى ويفكر كيهودي، لم يكن يفكر في وضع أي قاعدة دينية، ولا في أن يقيم أي نوع من الطقوس، ولا في أن يؤسس كنيسة أيًا كانت، بل كل ما كان يرغب فيه هو أن يثير لدى مواطنيه في تلك الأيام الأخيرة الباقية قبل قيام الساعة المنتظرة نوعًا من الورع، ربما أدى إلى تحول عميق في كينونتهم الأخلاقية، وربما جعلهم جديرين بالحصول على مكان إلى جواره في الملأ الأعلى، ولو أننا حللنا خطبه ومواعظه لوجدنا أنها تشتمل على قدر ضئيل من الوحي، كان اليهود جميعًا ينتظرون مملكة السموات، فجاء هو ليعلن أنها بالغة الاتساع، وكانوا يتصورون أنفسهم كما لو كانوا في انتظار تحول مبهج للعالم، حيث يتولى السلطة حكماء إسرائيل وعدولهم، بل كانوا ينتظرون أن يخلصهم من الأشرار – ملك منتصر – تحوطه عناية يهوه وقوته، أما هو فمع قبوله للصفات المادية، ولنقل الموضوعية للتحول النهائي»[1].

ويخلص الباحث «شارل جنيبيبرت» إلى أن «العهد الجديد» عبارة عن تآليف متنافرة، يصادف المرء فيها مختلف الآراء التي لا تكامل بينها لما يدعيه رجال الدين، وهي آراء تعود في الغالب إلى ميول واتجاهات مختلفة، تتناقض فيما بينها، وتأبى التوافق في وحدة متجانسة؛ إن الصورة التي تقدمها الأناجيل الثلاثة الأولى للحواريين الذين عاشوا في الجليل تختلف اختلافًا بينًا عن تلك التي يقدمها لهم القديس بولس، أو التي يقدمها من يطلق عليه اسم القديس يوحنا، إن كلاً من هؤلاء يعطينا عن عيسى وطبيعته ورسالته صورة يصعب التوفيق بينها وبين تلك التي يقدمها الآخر، اللهم إلا باستخدام مناهج علم الكلام في التوفيق؛ وهي مناهج تتهافت أمامها أعتى العقبات؛ لأنها لا تهتم بالتاريخ على الإطلاق.

(1) المصدر السابق، ص٩٩.

وفي هذا الكتاب المسيحي تلتقي أفكارًا وفدت إليه عبر اتجاهات وأزمنة متباعدة ، آراء قديمة كانت سائدة في شعب إسرائيل، أخذها المسيح وجدَّدها، أو عثر عليها بعض تلاميذه اليهود في أعماق شعورهم، وطغت على سطح تفكيرهم بفعل العادة، وأخذت فيه مكانًا مرموقًا، مثل أمثال عيسى التي تحمل الحكم والوعظ. وهكذا[١].

أما بالنسبة لرأي وتحليل ونقد وتقييم بعض مؤرخي الأديان للقرآن الكريم فقد ذهبوا فيه إلى أن «جانبًا كبيرًا من الانتقادات الموجهة للكتاب المسيحي لا يتجه إليه؛ ذلك أن بأمر من أبي بكر الصديق قام أحد كتبة محمد ﷺ زيد بن ثابت بجمع كل تعاليم الرسول ﷺ التي كانت مكتوبة من قبل في رقاع متفرقة، وسأل كلا من «حملة القرآن» أي الذين يحفظون قليلاً أو كثيرًا من أجزائه، عما لديه من القرآن، ثم بعد ذلك بعدة سنوات، وبناءً على أوامر الخليفة عثمان كتب نسخة رسمية، وأحرق بقية النسخ التي لا تتطابق معها تطابقًا تامًا»[٢].

وهذا العمل لو قيَّمناه لوجدناه في حقيقة الأمر أنه كان في غاية الدقة والسلامة؛ حيث أدى إلى تبسيط مهمة الدارسين والتابعين للقرآن الكريم، حيث اجتمع الكل على مصحف واحد موحد؛ «إذ لا يوجد سوى قرآن واحد، يشتمل على كتاب واحد، ويحكم على الأشياء بظواهرها، على الجوهر الصحيح لدين الرسول محمد ﷺ، لقد كتب في الزمن والوسط اللذين عاش فيهما محمد ﷺ»[٣].

---

[١] - ونفس هذه النتيجة انتهى إليها المؤرخ (لوازي) عندما أكد في تناوله للكنيسة واناجيلها أنه (سيسعى إلى بيان الروابط التي تجمع حقيقة الانجيل بالمسيحية الكاثوليكية عبر التاريخ ، ويقف عند النصوص الدينية المؤسسة ليتفهم كيف تكونت ، وبماذا نطقت ، وما محتواها الدقيق ، وما علاقة ذلك المحتوى بما هو سائد في الكنيسة الكاثوليكية (أنظر د/ حسن القرواشي : الفكر المسيحي ، ص ٢١٢ وما بعدها .

(٢) المصدر السابق، ص١٢.

(٣) نفس المصدر، ص١٠٢.

وأكد شارل جنيبيرت على أنه لم يقع التبديل والتحريف في القرآن الكريم بقوله: «وأبادر فأقول إنه قد كتب بعد وفاته – الرسول ﷺ – مباشرة، وكتبه الأشخاص الذين يعرفونه، ومن أجل هذا فقد عانى أقل قدر ممكن من تأثير التطوير الذي يقود المؤمنين إلى المبالغة، والذي يغير مرأى الناس والأشياء»[١]. غير أنه – أي شارل جنيبيرت – في جزئيته: استقلالية الدين الإسلامي عن بقية الأديان نجده قد شارك المستشرقين في أن القرآن الكريم من تأليف وتلفيق محمد ﷺ، وأنه عبارة عن تلفيق غير محكم، جمعه محمد ﷺ من عناصر مستقاة من التقاليد العربية القديمة، ومن الأديان التي كان له بها بعض العلم، كأديان اليهود والمسيحيين والفرس[٢].

لقد قام محمد ﷺ بالتوفيق بين هذه العناصر، لكن ضحالة الجانب النظري فيما قام به، والذي من المحتمل أن يكون قد حدث دون شعور منه يضفي عليه طابع الأصالة»[٣].

هذا كلام المستشرقين، وليس فيه جديد، وأن هذا الزعم لا يمتلك أي منطق صحيح، فالدين الإسلامي بعيد عن التلفيق وإن كان فيه شيء أو قل بعض قضايا العقيدة وخاصة فيما يتعلق بالجانب اللاهوتي، فهذا الجانب مشترك بين كل الأديان السماوية، وحتى بعض الأديان الوضعية التي تقول بالإله الواحد، وبالتالي يعد هذا قاسمًا مشتركًا لا تلفيقًا، وهكذا الأمر في الثوابت وأساسيات الأديان ،أما فيما يتعلق بأن في الدين الإسلامي عناصر مستقاة من التقاليد العربية القديمة، فإن الأمر يوضح لنا أن التقاليد في المجتمعات الإنسانية ما هي

(١) المصدر نفسه.
(٢) انظر: د/ فلهام رودلف: صلة القرآن باليهودية والمسيحية، ص١٤ وما بعدها.
(٣) شارل جنيبيرت: تطور العقائد، ص١٠٢.

في حقيقة الأمر إلا من الدين، وبالتالي إذا وجد أمر يتعلق بالتقاليد العربية في الدين الإسلامي أو غيره فهذا لا يعني التلفيق والأخذ منه، بل يعني أن هذه القيم والأعراف والتقاليد هي قيم إلهية أنزلها الخالق على عباده عبر الأنبياء والرسل، وتناقلتها الأجيال، جيل بعد جيل، ودين بعد دين للتأكيد عليها لصالح الإنسانية جمعاء.

غير أن شارل جنيبيير يعود مرة أخرى ويؤكد على أصالة القرآن الكريم بقوله: «إننا نجد جانبًا آخر للأصالة فيه متمثلاً في اللون الأدبي الخاص الذي هو لون الوسط الذي ولد فيه، أما كونه بالنسبة للمضمون خارجًا عن دائرة الشروط التي قد تكون حقيقة للوحي الذي يدعيه، فهذا مما لا يمكن الشك فيه. وفضلاً عن ذلك، فإن وحدة الكتاب هي ظاهرة خاصة بالإسلام من بين الأديان السماوية الكبرى»[١]. وتفضيله للقرآن الكريم على بقية كتب الأديان الكبرى قائم على نظرة مقارنة قائلة: إن القاعدة العادية في تلك الأديان هي أن الكتاب يجب أن يكون «قانونًا» أي مجموعة من الكتب الصغيرة نسبيًا، تتزايد درجة ما فيه من نقص بقدر تزايد عدد الكتب التي يحتويها، بما أن كل واحد من هذه الكتب، إذا أُخذ على حدة أثار من العقبات والتحفظات ما يثيره الكتاب بأكمله، ومن جهة أخرى فإن أكثر المشاكل تعقيدًا، بل واستعصاءً على الحل هي مشكلة معرفة أصل القانون، وشرح كيفية تأليفه»[٢].

ننهي بهذه الدارسة التقييمية التحليلية النقدية للكتب المقدسة للأديان الكبرى، التي ذهب فيها بعض علماء ومؤرخي الأديان إلى أن الكتاب المقدس اليهودي، في حقيقة أمره بل العلوم اليهودية السابقة على الأسر البابلي؛ هي علوم لها

(١) المصدر السابق، ص١٠٥.
(٢) المصدر السابق، ص١٠٥.

علاقة بالدين، حيث لم يبق بعد دمار مملكتي اليهود على يد الكلدانيين إلا بعض الكتب ذات الطابع الديني، فنشيد الإنشاد الذي لا يتعدى في مضمونه أن يكون شعرًا غزليًا لم ينقذه من الضياع في زوايا النسيان إلا إضافته إلى الملك سليمان .. وأن الكهنة قد أخذوا على عاتقهم جمع كل ما تبقَّى من علوم مقدسة وتنظيمها ومراجعتها، وتطويعها لكي تصبح ملائمة لأهدافهم الخاصة.

ووجدت قبل الغزو الكلداني مجموعة أو أكثر من الكتب المقدسة الخاصة بالديانة اليهودية؛ مثل المجموعة المسندة إلى كل من عزرا ومخيا، ويبدو أنها دوَّنت في القرن الرابع ق.م، وقد قسمت إلى ثلاث مجموعات: الشريعة – والأنبياء – وقصص القديسين – ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل إن الكتب الخاصة بالديانة اليهودية استمرت في الظهور، وكلها كانت تسعى إلى أن يكون لها مكانًا في القانون الكنسي أو المعبدي، حتى احتدم الصراع ابتداءً من القرن الثاني ق.م على وجه الخصوص، حول السلطة التي يحق لها اعتبار هذا الكتاب أو ذاك جزءًا منه، غير أن ظهر على السطح مع نهاية القرن الأول المسيحي جدل واعتراضات كبيرة على سفر حزقيال، وسفر الجامعة، ونشيد الإنشاد، وسفر إستير، وسفر الأمثال، وهكذا فرضت هذه الكتب نفسها شيئًا فشيئًا على المعابد اليهودية، ومن ثم فإن الربانيين انحازوا إلى القانون الكنسي المعبدي الإسكندري الذي يحتوي فضلاً عما يحتويه القانون الكنسي المعبدي الفلسطيني: سفر الحكمة، وسفر ابن سيراخ، وسفر المكابيين، وأسفار يهوذا، وسفر طوبيا، وسفر باروخ، ولو تفحصنا هذه الكتب لوجدناها قد اختيرت من بين عدد من المخطوطات المجهولة المؤلفين، وكانت تتداول في معابد اليهود في فلسطين ومصر طيلة القرون الثلاثة ق.م.

وتدوين أو إقرار هذه الكتب اليهودية قام على خلافات واختلافات وتردد بين الحاخامات؛ وذلك راجع إلى أنهم لا يمتلكون معيارًا واحدًا وأكيدًا يقررون على هداه صحة كتبهم، وجل ركيزتهم في كثرة كتبهم قائم على فلسفة تبرير ما لا يبرر؛ وهو أن هذه الكتب في جوهرها وحقيقتها إلهامات.

ومما يبين أن هذه الكتب اليهودية المقدسة قد قامت على الاختلاف والخلافات ظهور مظاهر الانحراف في شريعة اليهود[1]؛ ذلك أن الشريعة اليهودية قد استوعبت جميع شئون الحياة، حيث تضمنت أسفار العهد القديم والتلمود تنظيمًا كاملاً لشئون الدين والدنيا معًا، فلم تغادر أية ناحية من نواحي العبادات وشئون المعاملات والسياسة والاقتصاد والأسرة والقضاء والتربية والأخلاق والحرب والعلاقات الدولية، وواجبات الفرد نحو نفسه وأسرته ووطنه، لم تغادر أي ناحية من هذه النواحي التي تتمثل في الأحكام والعبادات والمعاملات إلا وضعت لها حدودًا وقواعد، وبينت ما ينبغي أن تكون عليه، وما يجب اتخاذه في حالة الخروج عليها؛ حتى شئون الأكل والشرب والعلاقات الخاصة بين الرجل وزوجه، والحيض والنفاس والزراعة والحصاد، واستخدام الأنعام في الحرث والزراعة، ومع ذلك نلاحظ أن في هذه الشريعة كثيرًا من مظاهر الانحراف والتضارب والاختلاف واختلاط المسائل؛ ومن أهم مظاهر انحراف هذه الشريعة أنها قائمة على التفرقة العنصرية؛ ذلك أنها تجعل اليهود شعب الله المختار الذي اصطفاه

[1] - توجد بالمقابل تقاليد شفوية في كثير من العقائد والديانات ، ولكن اليهودية تتسم بأن تقاليدها الشفوية أصبحت أكثر من مجرد تقاليد ، فقد أصبحت (شريعة شفوية) تعادل (الشريعة المكتوبة) في المنزلة ، بل وتتفوق عليها ، وتجبها ، والتلمود هو كتاب الشريعة الشفوية ، وأصبح أكثر أهمية من التوراة (الشريعة المكتوبة) ، ولذا فاليهودية الحاخامية تسمى (اليهودية التلمودية) وتحوي الشريعة الشفوية هذه اكثر من العناصر المتناقضة مع ما جاء في الشريعة المكتوبة) أنظر د/ محمد عبدالوهاب المسيري : في الخطاب والمصطلح الصهيوني ، ص ١٦٨ وما بعدها .دار الشروق ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٦ه / ٢٠٠٥م ، مصر .

الله وفضَّله على العالمين دون وجه حق، وتنظر إلى ما عداها من الشعوب نظرتها إلى شعوب وضيعة في سلم الإنسانية»[١]. ومن ثم تضع وتشرع قوانينها على هذا الأساس، وهذا ما نلاحظه في هذه الأيام بشدة في طريقة تعاملها للفلسطينيين المصنفين بعرب إسرائيل أو عرب ٤٨.

وكذلك فإنه – شرعًا – محرم على اليهودي أن يقتل يهوديًا، وأن يخرج بعضهم من ديارهم، على حين أنه مباح لليهودي أو الإسرائيلي، بل واجب عليهم غزو الشعوب الأخرى، وخاصة شعب كنعان «فلسطين» وواجب عليهم بعد انتصارهم على بلد ما أن «يضربوا رقاب جميع رجالها البالغين بحد السيف، فلا يبقوا على أحد منهم»[٢].. وغير ذلك الكثير وحدّث ولا حرج. وهذه الاعتبارات التي تستعصي في الغالب على إدراك العقل لها، وفي تحليلنا لها نجدها عند قراءتنا لها لا تؤثر فينا، ولا تتفاعل معها أنفسنا، ولا تهز أعماق الجوانب الروحية الإيمانية فينا.

وفي القليل الأخير نرى أن هذه المؤلفات أو الكتب اليهودية قد تكونت بطريقة استقرائية خالية من الموضوعية، واستجابة للأفكار والمشاعر الكهنوتية والربانية اللاحقة للرجوع من المنفى.

أما فيما يتعلق بالعهد الجديد فإن مؤرخي الأديان يرون أن شأنه كشأن أخيه الأكبر – العهد القديم – حيث يرون أنه قد تكوَّن بطريقة استقرائية، فمنذ اختفاء الجيل الرسولي كان هناك الكثير من الكتب المفيدة إيمانيًا، والرسائل المنسوبة إلى شخصيات مقدسة، وعلى الأخص القديس «بولس» وقد تزايدت أعداد هذه الكتب

(١) انظر: د/ علي عبد الواحد وافي،: اليهودية واليهود، ص٥٢- ٥٣.
(٢) سفر التثنية، الإصحاح ٢٠: ١٣- ١٤.

في نهاية القرن الأول، وبداية القرن الثاني، فكانت في مجموعها تشكل أكثر أنواع التباين إثارة للدهشة؛ لأن كل واحد من مؤلفيها كان يعبر عن روحه الذوقية، وطبقًا لخطته الخاصة، وما زال في إمكاننا أن نلحظ هذا التباين ، ويكفي برهانًا على ذلك أن نقرأ كلاً من إنجيل مرقص وإنجيل يوحنا، والرسالة إلى الرومانيين، ورؤيا يوحنا، وفي تناولها والاستفادة منها، كان الأمر متروكًا لكل كنيسة تختار من بين هذا الجمع من الكتب مجموعتها الخاصة، والتي تناسبها في تثقيف رعاياها والمنتسبين إليها.

هنا نلاحظ أن الأمر الخاص بكثرة هذه المؤلفات والكتب لم تزل من قبل المسيحيين، حيث إن البطارقة والقساوسة في اجتماعاتهم كانوا يدرسون أمر هذه الكتب وأنهم أثناء القرن الثاني للميلاد بدأوا يميلون بطبيعة الحال إلى محاولة الخروج بنوع من التوافق بين تلك المجموعات الخاصة، وبدأوا يشعرون بضرورة إقامة قانون كنسي مع شيوع وظهور البدع الكبيرة، كالبدع الغنوصية على اختلاف أنواعها، حيث كانوا – المبتدعون– ينشرون الكتب وينسبونها إلى الحواريين، أو ينسخون نسخًا مغلوطة للأناجيل لتبرير بدعهم البعيدة كل البعد عن روح الأناجيل. وأما أصحاب «مرقيون» الذين كانوا يتبعون القديس «بولس» كحواري حقيقي دون غيره فقد ألَّفوا لأنفسهم قانونًا كنسيًا لا يضم ولا يعترف إلا برسائل بولس الرسول وإنجيل لوقا. أما المسيحيون الكاثوليك التابعون للكنيسة الكبرى فقد أكدوا على الكتب المتداولة في ذاك الوقت انطلاقًا من قاعدة الإيمان الصحيح الخاص بالمسيحيين فقد قام المسيحيون ما بين القرن الثاني والقرن الرابع بإسقاط كثير من الكتب من قائمة كتبهم المقدسة؛ ومن تلك الكتب التي أسقطت إنجيل المصريين، وإنجيل العبرانيين، وكثير من الكتب المسندة إلى القديس بطرس، أو القديس بولس، والراعي هرمس، وكثير غيرها.

❁❁❁

الخاتمة

بعد الانتهاء من دراسة هذا الموضوع:(قراءة نقدية في عقيدة الديانة المسيحية) .

يمكننا أن نستخلص عدة نتائج ، تتمثل فيما يلي :-

١- ظلت إشكالية قناعة المؤمنين المسيحيين تجاه تمكين العقيدة المسيحية من قلوبهم قائمة ، حيث لم يستطيعوا الاقتناع بها ، ولا أن تفهم العقائد التي أقرتها الكنيسة الكاثوليكية الرومانية ، وظل الصراع قائماً بين الصيغة الجديدة للعقيدة الكاثوليكية ، والإيمان المتحرك .

٢- بمتابعة العقيدة المسيحية في ظل الفلسفة بمدارسها القديمة وجدناها أكثر تعقيداً ، لأنها أطلقت على الجوانب العقدية الواضحة ، مما أدى إلى لبسها بمسائل غامضة ، ولا تعني عند فلاسفة اليونان الإيمان ، بمعنى الثقة والتيقن ، بل المراد منها مؤكدات ميتافيزيقية ، بمعنى الاعتقاد فبالتالي وجدنا المؤمنين المسيحيين المتسائلين لا يقبلون العقيدة الفلسفية اليونانية القديمة.

٣- طرحت الديانة المسيحية في بداية أمرها على أنها امتداد للديانة اليهودية، ثم تطورت بعد حين ، وقدمت نفسها للبشرية على أنها حركة إصلاح وتصحيح للديانة اليهودية ، وبشارة إلهية لجميع الأمم .

٤- تطورت العقيدة اليهودية ، تلك العقيدة التي أتى بها عيسى ابن مريم عليه

السلام ، بعد وفاته وصلبه وقيامه ، وقد تم ذلك التطور على يد (بولس الرسول) وبها ابتعدت الهوة والشقة بين الديانة اليهودية في أصلها ، والديانة اليهودية المشربة بالمسيحية التي اعتنقها الوثنيون .

٥- قاعدة الإيمان وتمكينه من القلوب في الكنيسة الكاثوليكية بحاجة إلى سلطة لتثبيته وتمكينه من القلوب ، عبر لوائح وأنظمة تحت مسمى (الحكومة النظامية) أو (المؤسسة ذات الأنظمة واللوائح الإدارية) .

٦- خلصت الكنيسة الكاثوليكية إلى تعريف العقيدة بأنها : في مفهومها العام حقيقة معصومة ، وحكم لا يمكن نقضه ، وهي من حيث جوهرها موحى بها أوحاها الله مباشرة ، كما تكلم يهوه إلى موسى ، أو أوحى بها عن طريق المسيح عليه السلام خلال تعاليمه الأرضية ، أو التي أوحت إلينا بطريق غير مباشر بواسطة الإلهام لمن لديهم الأهلية والاستعداد لتلقيه ، الذين هم رؤساء الكهنوت المحركين بروح الحواريين. وعندما تقرر السلطة الكنسية عقيدة من العقائد تصبح بالنسبة لأتباع الكنيسة موضوع إيمان ثابت ومعصوم وملزم ، وكل ذلك راجع إلى أن الله الملهم لا يخطي .

٧- خلص بذلك بعض علماء الأديان والمؤرخين المسيحيين أن النظرة العقلية بسلطة الكنيسة لم يعد لها دور يذكر في العقيدة المسيحية ، إلا دور القبول والتبرير .

٨- العقيدة المسيحية في منطقة الهلال الخصيب – العراق –الشام –الحجاز– كانت تقول بالتوحيد ، وهذه المسيحية هي التي ينظر إليها قرآنياً ، على أنها

الديانة المسيحية في أصلها ، قال تعالى : (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً، وأنهم لا يستكبرون)[1] .

إذن تلك المودة راجعة في أصلها إلى إيمانهم بالله الواحد كما كانت في أصلها .

٩- يقف غالبية مؤرخي وعلماء الأديان المسيحيين موقف الشك من أن تكون هذه الكتب المقدسة في مجملها موحى بها .

١٠- حتمت الموضوعية والأمانة العلمية على علماء الغرب أن يسلموا بصحة القرآن الكريم ، وعدم التبديل والتغيير والتحريف .

❁❁❁

[1] - سورة المائدة ، الآية : ٨٢.

المصادر والمراجع

■ **المصادر العربية** :

١- ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، طبعة دار خلدون ، ٢٠٠٠م ، الإسكندرية .

٢- انطوان فهمي : العلامة ترتليان ، مطبعة الأنبا رويس ، ١٩٩٤م ، القاهرة .

٣- جون لوك : رسالة في التسامح ، ترجمة د/ عبدالرحمن بدوي ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٨م ، بيروت .

٤- حسن القر واشي ؛ دكتور : مدخل إلى تاريخ الكنيسة المسيحية ، المركز القومي البيداغوجي ، ١٩٨٨م ، بيروت .

٥- حسن القرواشي ؛ دكتور : الفكر المسيحي الكاثوليكي ، مطبوعات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، تونس .

٦- شارل جنيبير : تطور العقائد ، ترجمة د.محمد حسانين ، د.ت .د.ط.

٧- عبد الوهاب المسيري ؛ دكتور : في الخطاب والمصطلح الصهيوني ، دار الشروق ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٦هجرية / ٢٠٠٥م .

٨- عرفان عبدالحميد ؛ دكتور: النصرانية ، دار التجديد للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٢٦هجرية / ٢٠٠٥م ، ماليزيا .

٩- علي عبدالواحد وافي، دكتور: اليهودية واليهود، دار النهضة ، د.ت، مصر.

١٠- الغزالي، أبو حامد، الإمام: الرد الجميل على الوهية المسيح، تحقيق: د.محمد الشرقاوي، دار الجيل ، الطبعة الثالثة، ١٤١٠هجرية/١٩٩٠م ، مصر.
١١- فلهام رودلف: صلة القرآن باليهودية والمسيحية ، ترجمة عصام الدين حنفي سنة ١٩٧٤م ، بيروت .
١٢- الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد).
١٣- ماكس خيبر: الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية ، ترجمة محمد علي مقلد ، مركز الإنماء القومي ، د.ت ، لبنان .
١٤- محمد أبو زهرة ، الإمام : محاضرات في النصرانية ، دار الفكر العربي ، الطبعة الثالثة ، ١٣٨١ هجرية١٩٩١م ، مصر
١٥- محمد أبو زهرة ، الإمام: مقارنة الأديان ، دار الفكر العربي ، الطبعة ١٩٦٥م ، مصر.
١٦- محمود أبو الفيض: الدين المقارن ، طبعة نهضة مصر، ١٩٩٠م ، مصر.
١٧- وكولن ولسون : سقوط الحضارة ، ترجمة : انيس زكي حسن ، منشورات دار الآداب ، ١٩٩٨م ، بيروت .
١٨- يوسف زيدان: اللاهوت العربي وأصول العنف الديني ، الطبعة الثالثة ، سنة ٢٠١٠م ، دار الشروق ، مصر.
١٩- يوسابيوس القيصري ؛ تاريخ الكنيسة ، ترجمة : مرقص داود ، المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر ، ١٩٦٧م ، مصر .

■ **المصادر الاجنبية** :

20- Carr deveux : la morde de lislam ap mordles et neligions. 1909.p:191.
21- Simples neflexiomsL paris /1908
22- Critigucctradition / don le correspondulo jrnvier/ 1904.

❁❁❁